ألحان فرحات

بَراثن وأقدار

رواية

سائر المشرق

الطبعة الأولى
٢٠١٦

© **دار سائر المشرق**
للنشــر والتـوزيـع

جديدة المتن – سنتر بايلايان – الطابق السابع
رقم الهاتف والفاكس 01-900624
info@entire-east.com
www.entire-east.com

~~ISBN: 978-614-451-050-6~~

تدقيق: روبير نسطة
رسم الغلاف والرسومات الداخلية: كارول غطاس الحاج

تنفيذ الكتاب: **creative couple**
www.creativecoupleart.com

هذه الرواية مهداة إلى ذوي العقول الحرّة حول العالم...

شكر وتقدير

ترتعش الأقلام بين أناملي المتواضعة لتنقش على صخور الزّمان بسندان الوفاء ومطرقة الصّدق امتناني وشكري لهامات ومواهب إنسانيّة ساهمت معي في حياكة خيوط الأفكار لرداء أدبيّ إنسانيّ صار روايتي الثانية.

والشكر كلّ الشكر أقدّمه للصديق الفاضل الإعلاميّ وصاحب دار سائر المشرق الأستاذ أنطوان سعد، وصديقي الصّدوق الأخ الذي ولدته لي الأيّام منسّق اللغة العربية، مدقّق الرواية الأستاذ روبير نسطه، وكذلك أشكر الصديقة الموهوبة والرسامة المبدعة الأستاذة كارول الحاج، إلى جانب أهلي وأصدقائي وكلّ من شاركني بدعم معنويّ أو عمليّ من أجل أن تبصر الرّواية النّور.

فما لي فيها هو لهم، وما كانت الرواية لتتجسّد لولا مساهماتهم القيّمة. وإنّنا نؤمن بالحقّ ونعيش لننطق به. فكلمة الحقّ تُقال: كلّ من ذكرتهم لهم فضل كبير في إنجاز رواية «براثن وأقدار». وإنّهم لنخبة شرّفني التواصل معهم.

ألحان فرحات

التوطئة

هل الحريّة بعيدة عن الطموح بصوابيّة نهجها وقدسية أحقيّتها؟

بعد طَموح أتت حريّة مكمّلةً نهجَ الحقّ ليصبح واقعًا حيًّا، مكسّرةً بذلك قيود الخيال في غياهب الأحلام.

هي حريّة شقيقته وقد انطلقت، بعد غيابه أو تغييبه، في دهاليز النضال، في متاهات الدنيا بحثًا عن الحقّ والحقيقة. هي مسارات قد تبدأ لكنّها أيضًا قد لا تنتهي.

حريّة عرفها الناس بُعيْدَ رحيل شقيقها... هي الفتاة التي صبرت فصانت الأمانة. وعلى الرغم من حزنها وألمها وانكسارها إثر فقدها طَموحها، وقفت حاملةً أمانته وقد خطّها بكلمات وطنيةٍ صادقة حقيقيّة نُصرةً للحقّ والحقيقة. وقفت وهي تأسر دموعها خلف قضبان رموشها، دموعًا غافلتها فحضنت أوراقًا مكسورة حزنت سطورها لرحيل كاتبها.

حريّة تعلّمت من شقيقها الغائب الحاضر، الغائب جسدًا والحاضر نهجًا ومبدأً حقًّا. تعلّمت منه الثورة على الذات، كذلك الالتزام تجاه الوطن، والوفاء للأرض والشعب... تعلّمت منه عقيدة المحبّة في مذهب الإنسانيّة، تعلّمت أن تعيش قناعاتها حتّى تحيا حرّة فرحة متحرّرة ما بقيت. وأهمّ ما ورثته عن أخيها هو مبدأ النضال والتضحية في سبيل ما تؤمن به وألّا تخاف الموت لأنه مقدّر ومكتوب. فكما فُتحت الستارة لتبدأ مسرحيّة الحياة سيأتي الوقت لتُسدل الستارة عينها عند انقضائها. وما كان على حريّة إلّا أن تنسج أحداثًا هي بطلتها، أحداثًا مخضّبة بالجرأة والصدق وحُسن الأداء؛ لينصفها أبناء الأرض، فتُكرّم بعدها بين أبناء السماء.

في هذه الرواية، تدرس حريّة المحاماة تحقيقًا لوصية شقيقها الخاصة، كما أنّها ستخوض المعترك السياسي في وطنها من خلال مشاركتها الفاعلة كناشطة في جمعيّات المجتمع المدني. وعلى الرغم من أنّها ستواجه صعوبات جمّة ومختلفة ستكمل ما كان قد زرع نواته شقيقها في حقل الإنسانيّة والوطنيّة. ستبحث عن حقيقة مقتله وتواجه الجُبن والتعصّب فتعاند الفتن وتحاربها، وتقاتل من أجل إحقاق الحقّ بسيف الخير والعدل، كما ستكتب من على جدران الانغلاق والرجعيّة اسمها بالخطّ العريض قولًا وفعلًا: حريّة... حريّة... حريّة.

رحل طَموح، الأخ الواعي والمثال المحتذى به، رحل غدرًا تاركًا أمانة تفوق كلماتٍ في وصيّة...قد رحل تاركًا نهجًا لعيش الحياة بأسلوبٍ إنسانيّ راقٍ. إنّها رسالةٌ أوراقُها من فرح الأيّام وسطورها تلخّص الحقيقة والوطنية، حروفها من الخير، تدفع حاملها ليَصدق مع ذاته قبل أن يَصدق مع الآخرين. رحل من لم يولد حرًّا لكنّه عاش ليتحرّر... رحل طَموح شهيد قناعاته، مخلصًا لوطنه وأهله وكلّ أحبائه.

بعد تلاوتها وصية شقيقها، أدركت حريّة أنّ الأمانة سبيل يجب عليها أن تسلكه لتكمل ما بدأه أخوها. وقد يكون خطرًا، لكن ما أهميّته أمام خطر اضمحلال الحياة الحرّة للإنسان والتي تعطيه قيمةً لوجوده؟

أدركت حينها أنّ لديها مهمّة، هي مهمة إنسانية وطنية تجاه أهلها أوّلا ووطنها ثانيًا. وكأنّ نورًا شعّ من لدن فجر حياتها فخلقت لنفسها حياة داخل حياة، حياة مليئة بالمشقّات على أنواعها، غير أنّها سترتضيها مسارًا.

دُفن طَموح تحت شجرة عملاقة على قمّة جبل تتربّع قريته على سفحه، وحُفر على جذعها اسمه. فأصبحت تلك الرقعة من الأرض محجّةً للطامحين والناشطين والمفكّرين حتّى الفنّانين. هي بقعة جغرافيّة تدفع زائرها إلى التأمّل وحثّ خياله. فإضافة إلى رمزيتها، اختارها أهل البلدة لتضمّ جسد طَموح لا

لتبجيله إنّما لتخليد فكرته الصادقة ونهجه المثالي في عيش حياة حقيقية، مفعمة بالأمل والرجاء يكون مسارها الصدق نصرةً للحقِ والحقيقة. وكلّ ذلك كان إيمانًا منهم بأنّ صلاح مجتمعهم سوف يكون بثباتهم على مبدأ الالتزام بصوابيّة الأفكار لا بهُويّات الأشخاص.

وتلك الرقعة الجغرافية تطلّ على القرية بلوحاتها الفريدة، فهناك تتحاور عيون الزائرين مع جمال الطبيعة ليتوهوا في عالم السكون، في صمتٍ يحمل على جناحيه نسمات إبداع تتغلغل في القلوب، فتزرع في العقول أفكارًا تدفع صاحبها إلى السفر في عالم الخيال والأمل.

إعتادت حريّة الذهاب إلى حيث يرقد شقيقها لتحاور تلك الشجرة. فكانت يوم يضيق عليها الخناق من غدر الزمان، تلجأ لتغمر الأغصان بحنان، فيغرق محجراها بدموع الشوق لشخصٍ كان لها المرشد والسند، فتحاور روحه سائلةً إيّاه أن يمدّها بالقوة من عليائه، وكأنّ كلامَ روحه يسري إجابة في حفيف الأوراق بلغة النسيم العليل.

كانت تشعر أنّ يده تلامس وجنتيها فتمسح الدموع المتلألئة ببريق الشوق والخوف من المستقبل المجهول. وتستمدّ من طيفه الشجاعة والتفاؤل بغدٍ أفضل، وتعي أن من مسؤوليتها وحدها أن تحيكه- كما كان يقول لها طَموح – لا أن تعيشه محوكًا لها.

كانت تسترجع ذكريات وصورًا أضمرها عقلها لشابٍ يشعّ من أمامها شجاعة وجرأة. تارةً تضحك عندما تتذكّر مرحَه وكيف كان يلاعبها وهي طفلة، وطورًا تبكي عندما تتذكّر كيف كبرت لتراه شقيقًا مرشدًا ناصحًا داعمًا لها، وصديقًا صدوقًا بتعامله معها تفتقده بشدّة.

سارت حريّة على درب طَموح ونهجه مع العائلة وأصدقائها وحتّى زملائها في المدرسة والجامعة. تخرّجت من كلّية الحقوق في جامعة الوطن الرسمية كطالبة متفوّقة، فنالت إجازة حقوق في القانون بدرجة متميّزة. تابعت تحصيلها العلمي

لتحصل على دراسات عليا في القانون المدني والجزائي، واهتمّت كثيرًا بقضايا حقوق الإنسان، فكانت ناشطة فاعلة في مؤسسات المجتمع المدني، مدافعة عن الحريات والحقّ في التعبير عن الذات والمعتقد.

شعرت حريّة بأنّ أولى مهماتها تكمن في البحث عن حقيقة مقتل شقيقها طَموح، فبدأت رحلتها راجية أن تطفئ نارًا تستعرّ في داخلها، وقد ازدادت تحسّرًا على من فقدته.

كانت دومًا تتساءل مَن هو مطلق رصاصات الغدر؟ لماذا أطلقها، لماذا طَموح؟ فشقيقها ما اعتاد أذيّة أحد، وما ذكر يومًا تهديدًا. فلماذا قُتل؟ وما هو السبب؟ أكان حقّا بداعي السرقة؟

لكنّ من يتذكّر يعرف أن محفظته وأغراضه الخاصّة كانت ما تزال في حوزته وداخل سيارته.

أهو ثأر ما؟ لكنّ شقيقها ما قتَلَ أو خلق نزاعًا... وما بقي بعدها إلّا سبب وحيد... قد قُتل لمواقفه وخطاباته ونهجه الإنساني المثاليّ.

يلجأُ بعضُهم إلى إلقاء اللّوم برداءةِ الأيّام على القدر...

وما أدركَ، أنّنا لا نكونُ إلّا ما نفكّر نحنُ البشر.

فأفكارُنا مرآةُ وجودِنا #ألحان_فرحات.

بعد أن تخرّجت حريّة من كلّية الحقوق في جامعة الوطن بدرجة امتياز، قرّرت أن تتدرّج في مكتب الأستاذ «مشهور»، وهو المحامي الذي سمعت عنه الكثير خلال مراحل دراستها... فعلى الرغم من أن المسألة بدت لها مستحيلة في بادىء الأمر، ذلك أنّه لا يقبل بسهولة طلاب تدرّج المحاماة في مكتبه، كما سمعت من زملائها وأساتذتها، لكنّها قرّرت أن تزوره وتسأله بنفسها. وقد كانت، كما شقيقها طَموح، تعتمد دومًا على كفاءتها وثقتها بنفسها، ولا تقبل الوساطة من أحد.

تعرّفت حريّة إلى ذلك المحامي، وهو محام جزائي ذائع الصيت يعتبر مثالا ومدرسة في القانون، فقد تسلّم في مسيرته أصعب القضايا الجزائية ولم يخسر واحدة منها، كما تشهد له مناقبيته في العمل قولًا وفعلًا.

زارته في مكتبه في العاصمة، مكتب يغيظُ المرءَ وسعُه، فهو شقة كاملة في

الطابق الأخير من برج راق. هناك يدرك زائره، من النظرة الأولى، تعاظُم ثراء قاطنيه...

دخلت حريّة مكتب شركة المحاماة لتجد أكثر من عشرين محاميًا بين موظف ومتدرّج من شبّان وشابات. بدا لها الأمر مستحيلًا، إلا أنّها لم تعرف اليأس أو الاستسلام. وبعد انتظار طال وقته، طلبت منها السكريتيرة الدخول لمقابلته في مكتبه الخاص. وعند دخولها وقف متشامخًا وتقدّم من خلف عرينه نحوها ليستقبلها، فعرّفها بزوجته ومديرة مكتبه السيّدة «جميلة»...

جلست حريّة جانبًا مدهوشة بتواضع أبداه هذا الرجل في ملقاها. وبعد لحظات من الصمت قالت جميلة:

- زوجيَ الحبيب، ما اسم ضيفتنا الأنيقة؟
- اسمُها حريّة. ويا له من اسم! اسم ناضلت في سبيله شعوب العالم واتّفقت على أحقّيته المجتمعات كلّها.
- شكرا سيّدي على إطرائك. واعترى خدّيها خجل فتورّدا وأشاحت بنظرها إلى الأرض.
- أخال أنّي قد سمعت هذا الاسم من قبل... قالت جميلة.
- لا شك يا حبيبتي أنّك قرأته في كتاب أو مقالة ما... فمن لم يقرأ عن الحريّة أو يسمع عنها!
- أقول قد سمعت عن فتاة اسمها حريّة ولا أقصد قضية الحريّة يا زوجي الحبيب. لكنّني لا أذكر ممَّن وأين!
- هلّا قلت لي ما اسم عائلتك يا آنستي ومن أين أتيت؟
- اسم عائلتي ليس إلّا كنية تضاف إلى هُويّتي. وقد أتيت من بقعة نقيّة ترابها مُشبَع بالأصالة هي وطننا الغالي. فأنا من حيث أنتما، وما دمنا نحمل

هُوية واحدة ونتقاسم هواجس ومخاوف وطنية واحدة، ونتشارك أحلامًا واحدة فلا مناطق حينئذ تميّزنا ولا نسب عائلات.

- إجابة عميقة يا آنسة حريّة! قالها «مشهور» مبديا ذهولًا تامًّا.
- صدمت الزوجة ممّا سمعته وقالت: غير معقول! لا أصدق ما أسمعه!
- ما الذي لا تصدّقينه، ما العجيب؟
- قولها أعاد إليّ ذكريات أيّام الجامعة، ذكريات عن زميل عزيز أتقن فنّ المواطنة، فقد كان مواطنا نموذجيًا لكنّه رحل مغدورًا... يا الله ما أشدّ تقاربَ أفكارها مع زميلي وأفكاره! رحمك الله أيها الغالي طَموح...

وسرعان ما شهقت حريّة بكاءً أمامهما، وما عادت تستطيع كبح جموح عاطفتها.

فسارعت جميلة إلى تهدئتها وسؤالها عن سبب بكائها، واعتذرت منها في حال أدركت في كلامها أيّة إساءة.

لكنّ حريّة انتفضت ماسحة دموعها قائلة: سيّدتي إنّ ذلك الشاب، زميلك الذي تحدّثت عنه، هو شقيقي طَموح. نعم، شقيقي... وما أشدّ فخري به! فقد زرت هذا العالم الإنساني الفاني لأحمل مآثره وأدرك ما غرسه من مواطنته في نفوس كلّ من عرفوه وعقولهم.

بكت جميلة وضمَّت حريّة إلى صدرها بشدّة وتفاجأ الزوج بهذا المشهد المؤثّر أمامه... تفاجأ بالمصادفة التي جمعت زوجته بشقيقة زميلها، فهي دائمة الحديث عنه. ثمّ طلب منهما أن تهدآ، وطلب لهما كأسي ماء وبادر ملطّفًا حديثه:

- إنّني شهدت اليوم أغرب حادثة، فزوجتي يا آنسة حريّة دائمة الحديث عن طَموح... هي تخبرني وتخبر الجميع حكايته مع الأمل والنجاح بعصامية

الإرادة، ونقاوة الوسيلة، وحقيقة أحقّيتها. تتحدّث دائمًا عن الشاب الذي رحل فداءً لقناعاته ووطنه... واليوم يحضر زميلُها بشقيقته المتّقدة ذكاء فمن الواضح أنّها تشابهه بصفاته. لكنّني أعجب، كيف لم تتذكري يا امرأة أنّ لزميلك شقيقةً تحمل أجمل الأسماء؟

- ما عدت التقيت وطَموح بعد التخرّج. وما دفعني حتّى أسأل عن اسمها هو أنّه كان يخبرنا دومًا عن شقيقته الطفلة التي يرى لها مستقبلا باهرًا، وهو يعبّد الطريق أمامها من أجل أن تحقّق ذاتها في مجتمعها، بأنقى السبل وأرقاها. وأتذكّر بشدّة يوم طلبنا منه أن يريَنا صورة أو رسمًا لشقيقته التي كان يتحدّث عنها دومًا، وحينها صدمنا لشدة جمالها وكانت ما تزال طفلة ربما لم تتخطَّ سنواتها العشر. وعندما قلنا له إنّها تحمل سلاحها منذ الصغر في جمالها الفتّان. أوقفنا متسمّرين بعبارة لن أنساها ما حييت: «**جمال جسد الشخص قد يفنى لكنّ شخص الجمال في عقل الإنسان يبقى، حتّى بعد فنائه**».

فسألناه أن يشرح ما قاله ثمّ أجابنا مبتسمًا: «**حريّة حملت الجمال في اسمها قبل أن تتجمّل، وإن أرادت أن تبقى جميلة، عليها بالسعي لحماية معنى وجودها، وأحقّية اسمها ورسالته، وإلا ما انتفعت من جمالها الفاني بشيء**».

أذهلنا كلامه الإنساني وأثارتنا نظرته للجمال وأسرتنا طريقة تفكيره.

وكانت دموع حريّة تزداد بريقًا مع كلّ كلمة تقولها السيّدة جميلة، فشقيقها ترك أثرًا كبيرًا واضحًا في تلك المرأة. فتوجّه السيّد مشهور إلى حريّة قائلًا:

- لا شك أنّ شقيقك كان شخصا استثنائيًّا!
- يكفي أن نقول إنّه كان إنسانًا طَموحًا عاش حريّته في زمن تخلّف الكثيرين عنها، وطبّق قناعاته في زمنٍ يحيا الكثيرون خلافًا لما يؤمنون به.
- قد أحسن الغرس، ولا شكّ أيضًا أنّك فتاة مميزة خُلقا وخَلقًا. نودّ لو

تصبحين زميلة لنا. فقد اطلعتُ قبلا على سيرتك الذاتية وذهلت بدرجات التقدير التي نلتها فقد تميّزت في الجامعة وتفوّقتِ. رسائل التقدير كفيلة أن تبهر كلّ باحث عن الطاقات البشرية المتفوّقة. أمسِ اتّخذت قرارًا بلقائك لأضمّك إلى فريقنا، واليوم أطلب منك أن تمنحينا الموافقة.

- إنّ زمالتكم في هذه الشركة طُموحٌ، وتدرّبي معكم وفي رعايتكم يا أستاذ لهو وسام فخرٍ واعتزازٍ، ودفعة معنوية للأمام في مسيرتي المهنية. وإنّي أتشرف بكم وبزمالتكم.

- إذًا يمكنك مزاولة العمل معنا صباح الغد بل يمكنك البدء من اليوم لو وددت.

- أفضّل أن يكون ذلك مطلعَ الأسبوع المقبل.

- لك ما تطلبينه... أهلا وسهلا بك في شركتك.

- شكرا لك يا أستاذي، إنّني حقًّا مسرورة جدًّا، كما أشكر السيّدة جميلة لشهادتها الراقية بشقيقي الراحل وصدقها ووفائها له... وهذا ما يثبت الرفعة في الأخلاق والأصالة الجليّة في النفس والعقل.

ووقفت حريّة مودّعة الأستاذ وزوجته، وهمّت بالرحيل فأوقفتها جميلة:

- هل تقبلين دعوتي إلى الغداء اليوم، إني أريد أن أتعرّف إليك وأتقرّب منك أكثر، فصدقًا رأيت فيك نجاح شقيقك وحياة طموحه. وسأطلعك كذلك على أسلوب عملنا في الشركة، وكيفية التعاون سويًا لإنجاح مسيرتنا والبقاء على صوابيّة مسارنا.
- إنّها فكرة جيدة! فزوجتي تتحمّل مسؤوليّة إدارة الشركة بالكامل، وهي المسؤولة عن العلاقات العامة، ولا شكّ أنّها ستساعدك في التآلف مع سياسة شركتنا وطرائق عملها.
- إذا لا خيار لي إلّا الموافقة. فقد أخجلني كرمكما وحسن ضيافتكما وتشجيعكما. فشكرًا .

- لا داعي للشكر، فأنت تحملين في ذاتك ما يأسر قلوب الناس وعقولهم، وصدقًا ما قصدت جمالك إنّما قد تجسَّدَ فيكِ ما حدّثنا عنه شقيقك.
- استأذنت جميلة زوجها واصطحبت حريّة إلى مطعم قريب في وسط المدينة، وكانت جلسة لم تتوقعها حريّة.
- اختارت جميلة المطعم الذي دأبت على زيارته في قلب العاصمة قريبًا من مكتب الشركة. وقبل أن تصلا إلى المطعم بادرت حريّة إلى القول:
- هل يمكن أن أسألك عن أمر خاصّ، ولك الحريّة في التمنّع عن الإجابة إن سبّب ذلك إحراجًا؟
- يا حريّة، لك أن تسألي ما شئت، إنّني جدّ مسرورة لمرافقتك، حقًّا تشبهين أخاكِ!
- وما السؤال إلّا عن طَموح يا سيدتي المحترمة!
- تريدين أن تسأليني أنا عن شقيقك أنت!؟ وبان على قسمات وجهها الاستغراب وجحظت عيناها.
- نعم. إنّ سؤالي عنه، وسببه ذاك البريق الذي رأيته حين عرفت لحظة التقيتني أنّني شقيقته...
- إذًا، إسألي... إسألي... ماذا تريدين أن تعرفي؟
- سيّدة جميلة، ما الذي كان يربطك بشقيقي طَموح؟
- لطفًا توقفي عن مناداتي «سيّدتي». أرجو أن تعتبريني أختًا أو زميلة أو رفيقة، فناديني باسمي. أحبّ أن أسمع اسمي منك، اسمي فقط. لأنّني فعلا أحسب طَموح يناديني.
- إذًا يا زميلتي وصديقتي، أخبريني عن شقيقي. ما الذي جمعك به؟ كيف عرفته؟ أخبريني، إنّي أتشوق لأسمع منك أخبارًا عنه.

- حريّة، سأخبرك صدقًا إنّ ما رأيته في عينيّ حين تذكّرت شقيقك طَموح صحيح، لأنّه لم يكن إنسانًا عاديًّا في حياتي، أو مجرّد زميل فقد جمعنا الهيام في قصّة ما كنت لأعيشها مع أحدٍ سواه.

- أكان حبيبك؟! أدركت ذلك منذ اللحظة الأولى!

- نعم يا حريّة، فطَموح لم يكن حبيبي فقط بل حبّي الوحيد! ورفعت جميلة عينيها صوب السماء باحثة بين الغمام عن وجه محبوبها.

- لكن كيف؟ أخبريني...أخبريني كلّ شيء.

- لقد عرفت طَموح مصادفة في الجامعة، ومنذ اللحظة الأولى سرق قلبي بغير استئذان. سرق انتباهي وأفكاري ومشاعري، حتّى بات الضيف الوحيد في عقلي وقلبي. فعل بي كلّ ذلك من دون أن يدري... فقط بصدق تفاعله مع زملائنا، وجموح طموحه، ورزانته، وهيبته، ووقاره وفطنته، وتحرّر أفكاره ورجاحة عقله ووسع ثقافته. فإن تحدّث بين الزملاء شعروا أنّ الزمن توقّف من حولهم فيهيمون بين سحابات صوته.

- هل أحببته حتّى صار يختصر كلّ ما في حياتك؟

- بل أكثر! عشقته إلى حدّ الجنون.

- لكن لم تكملا سويا. كيف لهذا الحبّ أن يتوقّف؟! إن كنتما متحابّين بصدق فمن المؤكد أنّ طَموح كان يهيم بك جدًّا، لأنه لم يعرف الكذب في مواقفه وفي مشاعره.

- أنا على يقين أنه أحبّني.

- كانت جميلة تجيب عن أسئلة حريّة طوال الوقت وعيناها مغرورقتان بالدمع.

- لماذا لم يكتب لعلاقتكما الاستمرار. أنا لا أفهم!

- لأنّ أخاك يحمل في قلبه ضميرًا حيًّا.

- ما قصدك؟

- طَموح كان شابًّا قويّ العقل واعيًا، عطوفا وحنونًا، فقد رفض أن يسرق سِني عمري وهو العليم بمسيرته الطويلة لتحقيق حلمه وطموحه. كما أنّه قرأ هشاشة المجتمع وانقسامه عموديّا فكريّا وطائفيّا، واستشرف غضب المجتمع وثورته علينا لأنّ لا هُويّة دينيّة جامعة بيننا، كما استقرأ التمايز الفكري والعقائدي الذي لا يمكن له أن يؤسّس لسلام بين أفراد العائلة، فالزواج في رأيه هو تزاوج الأرواح بالتفاهم والانسجام...

- لأجل كلّ ذلك كان قراره قاسيًا عليّ... نعم... لكنّه بالطبع كان لصالحي أوّلا وأخيرًا..ذاك ما لم أفهمه في بادئ الأمر لكن أدركته بعد فترة.

- تقولين إنّ طَموح كان حبّك الوحيد، وما القصّة مع مشهور؟

- فلنطلب الغداء أوّلا، ولنكمل حديثنا بعدها أو لتكملي معي تحقيقك يا حريّة.

- ابتسمت حريّة ابتسامة ثقة واحترام. وعلمت أنّ تلك المرأة تستحقّ التقدير لما تحمله من صدقٍ في وفائها لحبيب مرّ في حياتها. ما نسيت أو تناست صفاته وذكرياتها معه.

- طلبتا الغداء وتناقشتا كثيرا في مسائل عدّة إلى أن عادت حريّة لتكرّر سؤالها:

- يا سيدة جميلة، أقصد يا جميلة. كنت قد سألتك واعذري تطفّلي. لكنّني أريد أن أفهم كيف لفتاة أن تتزوّج بعد أن خسرت حبّها الوحيد؟!

- «إنّ الحياة ما كتبت لنا لنتوقّف أو نوقف تطوّرنا عند مراحل معينة فيها، إنّما كتبت لنا لنحيا كلّ أقدارها مناضلين في سبيل تحقيق ذواتنا حتّى يحين موعد أجلنا». هذه عبارات طَموح، لا أدري إن كنت قد سمعتها منه.

- نعم سمعتها منه بالطبع، فقد كان يكرّرها أمامي أيضا.

- لا بدّ أنك ستفهمين كيف تمكّنت من الزواج... أتعلمين أنّ طَموح مهّد لي الطريق إلى الزواج الصحيح؟ ودفعني حتّى أختار بعقلي وقلبي معًا، بعد أن كنت أحيا بقلبي فقط. نعم يا حريّة، إنّ شقيقك كان إضافة إيجابيّة إلى حياتي سمحت لي أن أختار أفضل مسارات القدر لأحياها بسلام ونجاح.

- أهذا يعني أنّك لا تحبّين زوجك؟

- حريّة إنّ للحبِّ وجوهًا عدّة، وعلاقتي بزوجي أرى فيها أجمل الوجوه أبدًا. أرى فيه الاحترام والتقدير، والتفاني والوفاء، والمحبّة الصافية والصادقة. كما أنّني قد تعوّدت وجوده في حياتي وأشعر معه بالأمان.

وكان طَموح يقول دوما «**سيأتي اليوم الذي يبدّل فيه الإنسان منظاره، ففي مرحلة المراهقة وريعان الشباب، لا يحمل المنظار إلا عدسة للمسافات القريبة، وبالتالي لا يمكن لحامله أن يتبصّر خفايا مستقبله ومشقّاته. لكنّ الخطورة تكمن في حال أخذ الشبّان المراهقون خياراتٍ تفرض عليهم عجزًا ومشاكل جمة فيما بعد**». وهو القائل أيضا: «**مَن فكّر بقلبه فشل، ومن تحنّن بعقله كذب، ومن عاش بقلبه أو عقله فقط مات وحيدًا ولو كان محاطًا بالناس أجمعين...**

فالحياة لا تصحّ، والمرء لا يشعر بوجوده الفعلي ولا يحقّق ذاته، إلّا في حال كانت حياته تآلفًا بين وعي عقله وعواطف فؤاده، فيكون وسطيًّا في كلّ شيء. والوسطيّ دائما يفوز في حال كان كفوءًا ومثقّفًا ومفكّرًا قادرًا».

- إذا، هل عملت بوصيّته؟

- قد كان قرار فسخ علاقتي بشقيقك قراره وحده يا حريّة. إنّي ما كنت لأستطيع أن أتّخذ قرارًا مشابهًا. إلا أنّه كان يردّد على مسمعي دومًا: «إنّني لو منحتك الحبّ الأعظم يا جميلة، فلن أستطيع منحك السلام أبدًا. لأنّ السلام صنيعة المجتمع ككلّ وليس صناعة فرد مهما تعاظمت قوّته

وسلطته». إلا أنّي ما كنت لأفهم قصده وقتها، لأنّني ما أردت أن أفهم أو أدرك غير حبّه ووجوده قربي. لكنّني فهمت بعد وقت طويل، حين تعرّفت إلى مشهور ووجدت معه السلام والأمان والاستقرار... فالغرام المجنون يا حريّة، إن لم يكن ثابتا متينًا لن يبني العاشقان له بيتا آمنا مستقرًّا، وبالتالي سيدمّران مستقبليهما بأيديهما.

- لكن هل يجني الإنسان السعادة الحقيقية والمرجوة إن لم يكن الحبّ كاملًا في حياته؟

- إنّ تجاربي في الحياة علّمتني أنّ لا شيء يكمل في الكون إلا خالقه يا حريّة... لذلك أعتقد أنّ السعادة نسبية، فإمّا أن يرافق السعادة جنون مرحليّ في الغرام، ولو تكاد أن تكون نتائجه وخيمة بعد فترة قصيرة مهما طالت، لأن لا استقرار فيه ولا أمان. وإمّا أن تكون السعادة في الاستقرار وتكوين عائلة سليمة ناجحة ولو كان الحبّ فيها ضعيفًا. فلا يمكن لنا كبشر فانين أن نحصل على كلّ شيء يا حريّة.

- تتحدّثين بلسان شقيقي.

- وكيف أنسى أفكاره وأسلوبه ونضاله الإنساني؟! فقد أضاء في دربي مشاعل نور، تهدي عقلي نحو الوعي الذي أتعقّل به كي أتوكّل.

- ما أشدّ فخري واعتزازي حين أسمع الوفاء لشقيقي بلسان الأصدقاء الذين رافقوه وأحبّوه!

- إنّ شقيقك كان نموذجًا للإنسان الباحث عن حقيقة وجوده بأرقى الوسائل.

- نعم، صدقت. ومنه ومن أجله تعلّمت الكثير وما أزال أتعلّم كي أحافظ على أمانته. ولا بدّ لي يوما ما أن أحمل قضيته وأنتصر باسمه من أجل تكريس العدالة، كفكرة حقيقية في عقولنا ومستقبل أجيالنا.

- هل قضيّة طَموح ما تزال عالقة بعد هذه المدّة كلّها؟ لكن كيف؟ أيعقل

ذلك؟ لا أصدّق!

- هي ليست عالقة بل نائمة ومغيّبة بأمر رجالات الغدر والظلام.

- وما تنوين فعله يا حريّة؟

- إنّني عزمت أوّلا على أن أتخرّج كطالبة محاماة وقد حقّقت ذلك. والآن أسعى إلى إنهاء تدرّجي، فأشغل منصب محامية بالاستئناف، ولا بدّ سأسعى وأطمح وأعيش على أمل أن أصبح قاضية فمدّعية عامّة يوما ما لأتمكّن من حمل قضيّة شقيقي طموح وإعادة فتحها فأتبيّن الحقيقة منها وفيها.. ذاك ليس انتقامًا أو ثأرًا بل لإحقاق الحقّ نصرةً لمن حمل أفكار الطُّموح المحقّة والخيّرة للعالم أجمع.

- أرى في إصرارك هذا يقينًا بتحقيق الأمل والطموح... ثابري يا حريّة، لا بدّ أن تصلي يوما ما لتحقّقي أهدافك. وأنا واثقة بأنّ شقيقك من عليائه وكلّ مَن عرفك وسيعرفك أيضًا، سوف يفتخر ويعتزّ بك.

- أتمنّى ألّا أخيّب أمل شقيقي بي فقد كان يعوّل عليّ كثيرا، ويطلب مني دومًا ألا أيأس أو أضعف وأن أثابر دوما على مطاردة احلامي وطموحاتي فأبدّد هواجسي ومخاوفي بقوّة العلم والثقافة ومحبّة الناس.

- يا حريّة... أتمنّى لك كلّ التوفيق في مسيرتك، وتذكّري دومًا أنّ لك أختًا تقف إلى جانبك وتساندك في كلّ شيء، وفي حال طلبتني في أيّ يوم فستجدينني إلى جانبك.

- شكرا لك يا جميلة، الآن أدركت لماذا أحبَّك شقيقي طَموح، فلا عجب وأنت تحملين صفات حميدة قلّ مثيلها ذوقًا وأخلاقًا ومبادئ صادقة!

- أخجلتني بكلامك. شكرًا.

- أنا مَن عليه شكرك وتقديم الامتنان لشخصك الكريم، لأنّك أخبرتني أمورًا لم أعرفها من قبل عن شقيقي الراحل، ولأنّني وجدت في شخصك نموذج

المرأة الناجحة والقادرة، ولهذه الدعوة الجميلة والسخيّة. أتمنّى أن أكون دومًا عند حسن ظنّك بي.

- لا شكّ أنك ستكونين إضافةً راقية ورصيدًا إيجابيًا لي شخصيًا ولشركة المحاماة خاصّتنا. وجودك معنا سيغني مسيرتنا.
- إنّ كلامك يحمّلني مسؤولية كبرى وتأكّدي أنّني سأسعى جاهدة حتّى أكون عند حسن ظنّك وظنّ السيّد مشهور.
- متأكّدة أنّك سكونين كذلك. فإلى ملتقانا في مكاتب الشركة، دمت سالمة وبرعاية القادر والقدير على كلّ شيء يا حريّة.

خرجتا من المطعم وذهبت كلّ منهما في طريق، بعد أن كانت جلستهما صادقة فيها الكثير من الذكريات الجميلة وتبادل مشاعر الاحترام والمودة.

بعد انقضاء فترة تدرّج كانت خلالها حريّة محامية مقتدرة تنجز كلّ المهمات الموكلة إليها بنجاح وأمانة، تمكّنت من فتح مكتب خاصّ بها، وكان قد بدأ اسمها يُتداول على الألسنة في عالم العدالة والقانون... وإلى جانب عملها، كانت ناشطة اجتمّاعية لها آراؤها الخاصّة ومواقفها الجمّة، في ما يتعلّق بحقوق الإنسان والعدل والمساواة بين الناس، ونضالها في سبيل نصرة أصحاب الحقّ ولو كانوا ضعفاء.

فدافعت بل قاتلت لأجل حقوق المرأة، وناضلت في سبيل الحدّ من العنف الأسري من النواحي كلّها. كما أنّها كانت تضع نُصب عينيها دائمًا المصلحة العامة فوق كلّ مصلحة، ولو على حساب ذاتها. فهي تؤمن بأنّ الأهداف النبيلة التي تتمثّل بالعمل لصالح لخير المجتمع أجمع، أسمى بكثير من الإنجازات الفردية مهما علا شأنها.

افتتحت حريّة مكتبها في وسط العاصمة، بمساعدة العائلة وبعض معارفها. وكان لها زبائن كثر انتقلوا معها ونقلوا قضاياهم إليها، أو أوصوا أصدقاءهم وأقرباءهم بها منذ أن كانت متدرّجة في مكتب المحامي مشهور. وأولى القضايا التي تسلّمتها كانت قضيّة عنف أسريّ.

بعد مدّة من مزاولة عملها في مكتبها الخاص، وصل ظرف مختوم يحمله شاب أعطاه لسكريتيرة حريّة، فسلّمتها إيّاه، وحين فتحته قرأت رسالة غريبة تقول:

« يا مَن حملت في اسمك طموحي وهدفي ورجائي... إنّي بحاجة لمساعدتك كي أحيا اسمك... فقد سمعت عنك الكثير، ولا أعلم لماذا أشعر بأنّك أنت وحدك تستطيعين إنقاذي. أنا أعيش موتي قبل رحيلي.

قد حاولت الانتحار مرّات عدّة. ليس بيدي أيّة حيلة. قد نفِدتِ الحلول منّي ولا أعلم لم لا يستجيب خالقي فيرسل في طلبي؟ فروحي قد هَزُلت أمام قساوة الزمان الذي أعيش فيه ولا أقول أحيا.

أرجوك أن تأتي لزيارتي كي أشرح لك قضيّتي، ولتكن قضيّتك أنت يا حريّة، القضية التي ستنتصرين فيها وتنصرينها باسمك وفعلك. أرجوك أن تعذريني لأنني بعثت إليك رسالتي، ولم آتِ شخصيًا لأنّني إن خرجت من منزلي فسيكون عقابي وخيمًا.

أرجوك أن تأتي لزيارتي في أيّ يوم من أيّام العمل الأسبوعية واتبعي العنوان المدوّن في أسفل الورقة وسيرشدك إليّ. أتمنّى أن تكون زيارتك صباحيّة، كيلا تصادفي سجّاني القابض على حريتي، «متسلّط» وهو يجسّد اسمه قولا وفعلا. لا هاتف عندي، ولا أستطيع أن أذهب إليك. كلّي أمل أن أتشرّف بزيارتك في منزلي لأنّك أملي في حريتي».

صدمت حريّة لقراءتها الرسالة الغريبة وقد ذُيّلت بتوقيع «**مظلومة**». صُدمت لأنّها قرأت في خبايا حروفها ظُلما قاتمًا، وأيّاما يمزّقها الديجور. فشعرت بالمسؤولية تُجاه تلك المرأة التي وثقت بها حتّى قبل مقابلتها. لهذا قرّرت زيارتها وتبيّن حقيقتها.

وفي اليوم التالي قصدت حريّة منزل مظلومة، قرابة الساعة العاشرة صباحًا. وبالفعل وصلت حريّة الى البناء المذكور حسب العنوان المدوّن في الرسالة. وللوهلة الأولى أدركت حريّة أن مظلومة تسكن في حيٍّ راقٍ جدًا من أحياء العاصمة. ولا شك أنّها من عائلة ثريّة أو متزوّجة من رجل فاحش الثراء، فالشارع مرتّب ونظيف، وتركن على جوانبه أفخم السيارات وأثمنها وذاك دليل على ثراء مالكيها. كما أنّ البناء المحدد في الرسالة، ليس مجرّد بناء عادي إنّما هو برج ضخم حديث وعصري.

دخلت حريّة البرج السكني في العاصمة، وتوسّلت المصعد حتّى وصلت إلى الطابق الثالث عشر حيث تسكن مظلومة. وما إن فتحت حريّة باب المصعد، لتبحث بين الأسماء عن المدعو متسلّط حتّى انشقّ باب عن يمينها وسمعَتْ صوتًا هامسًا خافتًا من خلفه:

- أدخلي يا أستاذة. أرجوك أسرعي، قبل أن يراك أحد الجيران!
- تعجّبت حريّة من ذلك التصرّف، فإذا كانت مظلومة قد فتحت الباب فلماذا لم تشرّعه على مصراعيه؟ وممّ تخاف؟ اقتربت حريّة بحذر من الباب، وقالت:
- مظلومة، أهذا أنت؟ لم لا تفتحين الباب؟
- أرجوك أدخلي. أدخلي بسرعة قبل أن يراك أحد، أرجوك... وكان صوتها

يجرّحه حزن وأسى يترنّحان بين تنهيد وبكاء.

- دخلت حريّة من تلك المساحة الصغيرة لتقفل مظلومة الباب خلفها مباشرة، متأكّدة أنّ أحدًا لم يرَها تدخل عندها، وهي تتنهّد وترتجف، والدمع يثقل وجنتيها. ابتعدت مظلومة عن الباب لتلتفت إلى حريّة، وهذه الأخيرة ما تزال مصدومة ممّا جرى فأصابها استغراب وتعجّب وفضول في آن واحد. خلعت مظلومة رداءِ أبيضَ كان تغطّي به وجهها وقالت بتأثر لحريّة والدمع يتلألأ في مقلتيها:

- أستاذة حريّة... أنا مظلومة.

- سيّدتي حتّى لو لم تقولي لي اسمك ، تأكّدي أنّني كنت عرفته، إنّ آثار الضرب والتعذيب واضحة على وجهك، والأرجح أنها تدمغ جسدك كاملا. إنّني لا أصدّق أنّك تعيشين هذه الحالة، فمن الواضح أنك تعاملين معاملة أسرى الحرب.

- أسرى الحرب لهم حقوق يتمتّعون بها وهم قابعون في الأسر. أمّا أنا فلا حقوق لي.

- كيف ذلك؟ ما قصّتك؟ أخبريني.

- سأخبرك قصتي وأتمنّى يا أستاذة أنّك حتّى لو لم تتمكّني من إنصافي، أن تنصفي نساء الوطن من خلالي. وكان الدمع يذرف على وجهها ويزداد احتراقًا في كلّ كلمة كأنّه خارج من رحم الجحيم..

- تعالي فنجلسَ، وإنّ لك وقتي كاملا لتقصّي عليّ قضيتك، وسوف أبذل قصارى جهدي لمساعدتك. وهذا عهد ووعد مني لك.

- كلّي أمل وثقة بشخصك واسمك.

- حضّرت مظلومة القهوة على وجه السرعة، وأتت إلى ضيفتها تقصّ عليها حكايتها فقالت:

- أستاذة حريّة. قضيّتي لا تختلف أبدًا عن قضايا نساء كثيرات يعانين ما أعانيه. هي قضية عنفٍ أسريّ.

- ذاك واضح يا مظلومة. أنتِ تعيشين فقط لتأخّر قدوم أجلك. ولكن أريد أن أسمع منك تفاصيل قضيتك. أوّلا أخبريني عن «متسلّط»: منذ متى وأنتما متزوّجان؟ كيف تعرّفت إليه؟ متى بدأت علاقتكما؟ هل لكما أولاد؟ ما نوع عمله؟ أخبريني كلّ التفاصيل، لو سمحت.

- متسلّط رجل أعمال ناجح جدًّا. مجاله الرئيس التجارة الدولية ويعتمد عليه معظم التجار لتأمين المواد الأوّلية والسلع من الخارج، وأيضا لتصريف بضائعهم بمختلف المنتجات.

- أي أنّ علاقاته الاجتماعية والاقتصادية وحتّى السياسيّة على مستوى الوطن أجمع.

- وأكثر من ذلك إنّ متسلّط رجلٌ له علاقاته مع مسؤولين رفيعي المستوى، لأنّه متى واجه مشكلة في تجارته من أي نوع كانت، صغيرة أو كبيرة، يستطيع حلّها بمجرد مكالمة. إنّه رجل ذو نفوذ هامّ.

- هكذا إذًا! هو رجل متموّل وثريّ وله علاقاته مع المسؤولين. هذا يبرّر خوفك منه.

- نعم... هو رجل لا يهاب أحدًا ولا أحد يجرؤ على أن يتحدّاه أو يواجهه. لأنّ كثرًا حاولوا لكنّهم إمّا سُجنوا، وإمّا هربوا خارج الوطن، وإمّا...

- قتلوا!؟ أتريدين أن تقولي قتلوا! وهل يَقتل زوجك خصومه؟

- لا أعلم... لا أعلم... وانهارت المرأة في مكانها.

- هدّئي من روعك، أنا معكِ وإلى جانبكِ وسأحميكِ منه. لا تخافي. إطمئنّي. والآن قولي لي: هل زوجك قاتل؟

- صدقًا لا أعلم، لكنّني قد سمعت عن اثنين من خصومه قد قضيا في حادثين غامضين، أحدهما غرق والآخر احترق مع مصنعه... وأنا لا أملك

أيّ دليل إن كان زوجي، أقصد سجّاني له أيّة علاقة بهما. إلا أنّني متأكّدة بأن لا رحمة في قلبه، وتفكيره خطِر جدًّا.

- حسنًا. حسنًا. تابعي، أخبريني عن علاقتك به. أتمنّى منك ألا تناديني بأستاذة بعد الآن... أرجوك أن تعتبريني شقيقة لك أو صديقة مقرّبة، تثقين بها ومتأكّدة أنّها إلى جانبك، وحاضرة لمساعدتك.

- قد تقرّبت حريّة من مظلومة بأسلوبها الهادئ والصادق لتشعرها بالأمان وتهدّئ من روعها، لعلّها تفهم منها تفاصيل إضافية تخدم قضيتها.

- تعرّفت إلى متسلّط منذ أربع سنوات تقريبا. كنت طالبة في السنة الأولى في الجامعة، مسجّلة في كلية الآداب فقد كنت أحلم بأن أصبح مدرّسة. والمطالعة هوايتي المفضّلة والكتاب رفيق أناملي الدائم.

وكان يتردّد إلى مكتب رئيس الجامعة، فهو صديقه المقرّب. وقد صادف أنّني حدّدت موعدا مع رئيس الجامعة من أجل أن أطرح عليه فكرة مشروع نشاط أدبي لطلاب الجامعة وحين زرته في مكتبه استقبلني ومتسلّط في حضرته. استغربت استقبال رئيس الجامعة لي بحضور شخص من خارج الهيئة التربوية أو الإداريّة في الجامعة، إلا أنّني لم أكترث له ولم أنظر اليه. وهذا ما شدّه إليّ حسب ما قاله لي فيما بعد. طرحت مشروعي وتناقشت مع رئيس الجامعة وأقنعته بفكرتي ووافق مباشرة عليه. فخرجت فرحة جدّا... تفاجأت بعد مدّة بأنّ ذاك الرجل الغريب، ضيف رئيس الجامعة كان حاضرًا في الندوة الأدبيّة التي نظّمتها، وفي الصفوف الأماميّة. وكان واضحًا أنّه يبدي اهتمامًا بي من خلال نظراته وتصفيقه الحاد وابتسامته. فتأملني كثيرا، وبدوري تأملته مستغربة في بادئ الأمر، إلا أنني سُحرت بهيبته، ورصانته، وثقته بنفسه البادية على ملامحه. كذلك لفتني اهتمام الجميع به، من رئيس الجامعة إلى كافّة الهيئات التربوية والإدارية. وتلك أمور لا بد وستلفت أيّة فتاة في مقتبل العمر تبحث عن الفرح والاستقرار لتراهما في عيني رجل يشعرها بالأمان والحماية.

انتهت الندوة، فاقترب مني وهنّأني ثمّ رحل من دون أيّة كلمة أخرى. أؤكّد لك يا أستاذة أنّني فكرت فيه لأسبوع كامل فما فارقتني صورته. عندها أدركت انني أُعجبت به وصرت متيّمة بشخصه.

- حسنًا، وكيف عدت والتقيت به أو كيف تعارفتما؟
- بعد أيّام، أرسل رئيس الجامعة في طلبي، فاعتقدت للوهلة الأولى أنّه يريدني في فكرة نشاط جديد أو لسبب آخر وما خطر لبالي متسلّط. حتّى وصلت إلى مكتبه، وكان ذاك اللقاء مفصليًّا في حياتي.
- ما الذي حدث؟
- كانت حريّة قد حملت كتيبها الصغير وقلمها الذي لا يفارقها وهو القلم الذي كتب به شقيقها طَموح وصيّته، لتدوّن ملاحظاتها وقد بدا عليها الاهتمام بتفاصيل علاقة مظلومة بزوجها متسلّط.
- دخلت المكتب ورأيت «متسلّط» متأنّقا كعادته، يحمل سيجاره بيده، وعطر الثراء يفوح من ثيابه. ألقيت السلام عليهما، واذا بالرئيس يرحّب بي، ومتسلّط يقف ليسلّم عليّ، فأمسك يدي وقبّلها كما لو أنّني أميرة يقف أمامها فارس أحلامها وابتسم ورحّب بحضوري. إحمررت خجلا وتضاعفت دقّات قلبي، وأصابتني الحيرة وتملّكني الحياء أمام رئيس جامعتي. لكنّني تبيّنت فيما بعد، أنّ الرئيس الفعلي للجامعة كان متسلّط والمرؤوس هو ذاك القابع خلف مكتبه. فقد أعلمني متسلّط فيما بعد، أنّه المتبرّع الأكبر للنشاطات في الجامعة والمموّل الرئيس لتطويرها. هنا أدركت قوّته وسلطته وفهمت ثقته المبالغة بنفسه. إلا أنني لم أخشَه ولم أحذر منه، فمن الواضح أنّني آنذاك كنت قد وقعت أسيرة الغرام الأعمى.
- تابعي يا مظلومة، تابعي يا صديقتي أريد أن أعرف كيف تبدّلت الحال معه، وما الذي قادك لتكوني سجينة ليعاملك معاملة...

- العبيد... نعم يا حريّة لا تتردّدي في قولك... أنا لست فقط عبدته بل حيوانه الأليف يتصرّف به كما يشاء. يُشبع وحش غريزته من لحم جسدي، ويتلذّذ بإشباع أهوائه وعقده النفسية بضربي والتمتّع بتعذيبي، فلا رأي لي ولا قرار أتّخذه في شيء.

- ولكن كيف تزوّجته؟ كيف؟ وكيف لم تكتشفي صفاته وحقيقته؟ إنّك فتاة ذكية ومتعلّمة وخبرت الحياة حتّى زادتك ثقافة، لست فتاة ساذجة ليستغلّ بساطتك، فكيف استطاع أن يمتلكك و يأسرك بتسلّطه؟

- إنّ متسلّط شيطانٌ يتموّه في هيئة ملاك.

- إشرحي يا مظلومة إشرحي. أعطني التفاصيل... وراحت حريّة تدوّن أفكارا وجملا قالتها المظلومة قد تفيدها في تدعيم قضيتها.

- قد لفت انتباهي أوّلا بهيبته ورصانته وبقوامه الجسدي، ومن خلال ثقته بنفسه وإحساسي أنّ الأرض ترتجّ تحت قدميه. قد أتقن الاهتمام بي منذ لقائي الثاني به في مكتب رئيس الجامعة وأرسل دائمًا إليّ الورد ومَن يطمئن لأمري، كما أنّ معاملة رئيس الجامعة ومسؤولين آخرين فيها قد تغيّرت معي نحو الأفضل، على الرغم من أنّها كانت رائعة، فقط لأنّهم علموا باهتمام متسلّط بي.

- فقد قلت لك قبلًا يا حريّة إنّ متسلّط رجل ذو نفوذ وهيبة وسلطة. فقد تمكّن بماله ومن خلال تجارته الواسعة وموقعه الاقتصادي والاجتماعي من شراء ذمم الكثير من النفوس التي تتهيّأ لنا على صور بشر.

- ولكن لم اهتمّ بك عن غيرك من فتيات الجامعة؟

- قالها لي فيما بعد. لأنّني رفضت مواعدته ليلا أو بعد الجامعة، ولم أقبل دعوته إلى منزله بعد أن توطّدت علاقتنا، ولم أسمح له قطّ أن يمسك بيدي حتّى قبل الزواج. لكنّه أحكم قبضته على روحي وحياتي فيما بعد. وعادت

لتجهش بالبكاء مرة أخرى.

- لا عليك يا مظلومة أتفهّم موقفك... لا بأس، لا بأس. إذرفي دموعك لعلّ السلام يزورك وتشعرين بالراحة. وحضنتها ثمّ سألتها وهي تربّت كتفها ودموع مظلومة تعانق عنقها: أخبريني متى تزوّجته؟

- وتمالكت مظلومة نفسها فاسترجعت أيّامها مستمدّة القوة من دعم حريّة وتفهمها لها ثمّ قالت:

- لعامين على التوالي عاملني بلطف كبير، فكان يهتمّ بكلّ تفصيل مهما صغر في حياتي، وكان يعلم كلّ تفاصيل حياتي حتّى بدأت أشعر بأنّه يراقبني. غير أنّي لم أكترث لولعي الشديد به. وفي سنة التخرّج التي لم أنجزها، وبعد أن تعلّقت به، تقدّم بطلب الزواج وقال إنّه على عجلة من أمره ويريد أن يزور أهلي ليتعرّف إليهم، وإن لديه سفرًا إلى بلاد بعيدة ليتابع عملا هامًّا ويجب أن أكون برفقته.

- وماذا حصل؟ هل يعقل أنّك تخلّيت عن الجامعة؟ أيعقل يا مظلومة أنّك تركت الجامعة في العام الأخير قبل التخرّج؟ لكن كيف تدمّرين مستقبلك بيديك؟

- سألته يومها عن جامعتي فأجابني ستتابعين الدراسة حين نعود، إعتبري هذه الجامعة ملكك الخاص، وتسجّلي متى شئت. لو أردت سأجعلهم يعطونك الشهادة هدية! قالها وكان شديد الثقة بما يتفوّه به. لكنّني رفضت كلامه فأنا لا أقبل أن أُعطى الشهادة إنّما يجب أن أستحقّها... كيف أحمل شهادة لم أتكبّد عناء الحصول عليها ولم أبذل جهدًا لأنالها؟

- وماذا فعلت حينها؟

- قبلت عرضه، لا سيّما أنّني لم أكن لأتفاهم كثيرا ووالدتي في المنزل، وأنا فتاة وحيدة لا شقيق لي، ووالدي رجل امتهن التدريس، وهو متوسّط الحال، لا

يجادل والدتي لأنه لا يرغب في افتعال مشاكل في المنزل.

- وكيف وافق أهلك على عريس الغفلة وهو يكبرك بأعوام كثيرة؟

- قلت لك قبلا. إنّه تاجر ماهر أحسن إتمام الصفقة مع والدتي، فقد قدّم سعرا مرتفعا جدًّا لسلعتها مقابل ما يُعرض عليه في السوق. وتمّ التوافق بين الطرفين بين بائع وآخر مستهلك.

- اذا أتقولين إنّ متسلّط أغرى والدتك بالمال الوفير لتسهيل أمر زواجك منه؟

- لا يمكنني قول ذلك البتّة لأني كنت فتاة راشدة وأتحمّل جزءًا من المسؤولية. ولكن ممّا لا شك فيه أنّ لوالدتي الدور الأبرز في التأثير في قرار والدي الذي بدا معارضًا فكرة زواجي قبل تخرّجي من الجامعة. لكنّه لم يستطع أن يغيّر في الأمر المحتوم.

- إذا تزوّجت قبل تخرّجك وكنت في العام الثالث من علاقتك به. أخبريني ما الذي حدث معك بعد أن تزوّجته؟

- زواجي الرسميّ من متسلّط كان خطوتي الأولى للوصول إلى الجحيم...

- قالت مظلومة كلماتها وهي تمسح دموعها وتنظر إلى الأفق من نافذتها بأسى ولوعة.

- لم تقولي لي يا مظلومة، هل لكما أولاد؟

- أشكر خالقي لأنّه لم يرزقني من ذاك الكائن أيًّا من الأبناء. وتلك هي النعمة الوحيدة المشرقة في حياتي القاتمة. فلو أنجبت له ولدًا لأصابني الجنون لأنّني عندها أعلم أنني لن أستطيع الانتحار وقتل نفسي في حال أتيحت لي الفرصة أو تجرّأت على فعلها، بالتالي لا حول ولا قوة أمام يأسي إلا الجنون.

- أرجوك لا تتحدّثي عن الانتحار يا مظلومة هذه ثقافة الجاهلين لا المتعلمين الواعين. نحن ولدنا لنحيا لا لكي نموت. فخالقنا ومبدع وجودنا وحده يقرّر موتنا ورحيلنا. أرجوك يا مظلومة ألّا تذكري تلك الكلمة مرّة أخرى

أمامي. أرجوك.

- أتعلمين أنّني أرى في الموت ملاذًا من ذاك الوحش! انه يعاملني كسجينة فعلا. يحبسني عندما يخرج، فيوصد الأبواب والنوافذ، ولا يترك لي أيّ مفتاح أو سيارة، لكنّني تمكّنت من سرقة نسخة عن مفتاح المنزل بغير علمه، وإلا ما استطعت مراسلتك، وما استطعتِ بدوركِ الدخول إلى منزلي. كما أنّه لا يسمح لي باقتناء هاتف. إنّني دمية يتحكّم بها كما يشاء.

- ولكن يجب أن تبلغي الشرطة يا مظلومة فالقانون يحميك.

- يحميني... ضحكت مظلومة ضحكة كلّها تحسّر، وتابعت قائلة:

أقلت القانون؟ عن أيّ قانون تتحدّثين! ومَن يشرّع تلك القوانين؟ إنّ أهمّ أولئك الرجال يشابهون متسلّط اسمًا وفعلًا. فكيف لمسؤولين، ذكورًا، أن ينصفوا المرأة وأن يسنّوا قوانين تحميها؟ كم من قضية عنف أسريّ سمعت بها يا حريّة؟ وكم فقدنا من ضحايا جراء العنف الأسري؟ قد أخبرتك عن قوة متسلّط وبطشه، وعلاقاته الكثيرة مع المسؤولين ولا أشكّ أنّه على صلة مباشرة بمراكز الشرطة ومع مسؤولين رفيعي المستوى. بالتالي قد لا أستفيد شيئا من إبلاغهم؛ وقد يؤول الأمر إلى زجّي أنا في السجن إذا دفع لهم من مال فساده. أفهمتني يا حريّة؟ لكلّ هذه الأسباب لجأت إليك...

كانت مظلومة تتحدّث دوما والبكاء لا يفارق خدّيها، فاحتضنت حريّة واستمرّت في الذرف...

وأخذت حريّة تهدّئ من روعها، وتطمئنها وتطلب منها ألّا تخاف أبدا لأنها ستفعل المستحيل كي تنقذها من براثن ذاك الوحش المتسلّط، ثم قالت لها:

- والآن استريحي قليلا يا مظلومة، أريدك أن تستريحي وأنا سأذهب إلى مكتبي كي أقوم بتحضير ملف للقضية. ولكن قبل أن أرحل أعطيني رسمًا أو صورة لزوجك متسلّط. أريدك أن تعطيني صورة عن عقد زواجك، وصورًا لك

قبل زواجك منه وبعده. سألتقط لك صورًا الآن لأحتفظ بها كدليل على همجيّته ووحشيّته. ولي طلب أخير يا مظلومة، لو سمحت.

- نعم. نعم، تفضلي يا حريّة.
- قولي لي هل لاحظ أحد الجيران أو انتبه لأسلوبه الهمجي معك؟
- لا شكّ أنّ بعض أصوات الضرب والكسر والتعذيب قد لامس مسامعهم قبلا. إلا أنّ هذا البرج السكني ملكه، وجميع القاطنين فيه يعرفونه حقّ المعرفة ويخافونه حتّى الموت، لدرجة أنهم لا يملكون الجرأة حتّى على محادثته.
- عليك أن تعطيني اسم شاهد حيّ استعمله كقرينة ضدّه لأدعم القضية.
- لكن، لا يمكننا إيجاد ذاك الشاهد!
- إذا عليك أن تبتدعيه!
- كيف سأبتدع شاهدًا يا حريّة؟
- ليس بالضرورة أن يكون شاهدك الحيّ إنسانًا، يمكن أن يكون مقطع فيديو مثلا.
- الآن فهمتك، وكيف سأؤمّن لك ذلك الشاهد؟
- منذ ان استلمت رسالتك توقّعت ظروفك الصعبة واحتطت لها أيضا، لأنّني فهمت منها أنّك سجينة شخص مجرم. بالتالي لا يوجد للسجين أيّ احتمال أن يطلب مساعدة من خارج سجنه ويتحتّم عليه أن يبتدع الحلول بنفسه من داخل زنزانته. لذلك قد جلبت لك جهازا صغيرًا يمكن أن تضعيه مخفيًّا في أيّ مكان من البيت ليسجّل تعنيف متسلّط وتعديه عليك، في حال حصول ذلك. واذا أوجدنا القرينة الثابتة سنرفقها بصور آثار التعذيب على جسدك لتكتمل كل عناصر القضية، فيصبح بمقدورنا كسب القضية التي سنطالب فيها بفسخ عقد زواجكما، وسجنه وضمان تأمين التعويض المادي والمعنوي لك.

- وهل ستنجح قضيتنا؟

- لا بدّ وسننجح لأنك صاحبة حقّ. والحقّ لا يموت مهما طال زمن الظلم والتسلّط. والآن حان وقت الذهاب، أرجوك أن تتذكّري ما قلته لك: لا تدعيه يعلم بوجود جهاز التسجيل، وأريدك أن تحذري منه، فمن كان مثله يحيا متسلّطا بقوة ماله ونفوذه على الآخرين يفقد انسانيته، وبالتالي قد يقدم على ارتكاب جريمة مجنونة في أيّ وقت. لذلك إحذري جيّدا.

- اتّفقنا. ومتى سنلتقي مجدّدًا؟

- سأحضّر ملف القضية وسأعود إليك قريبا في غضون أيام قليلة لنمضي في دعوتنا القضائية. لا بدّ لنا أن ننتصر!

- حسنًا، سأنتظر قدومك خلال أيام.

- الى اللقاء يا مظلومة، أرجوك أن تحذري وألا تعاندي زوجك كيلا يُقدم على أذيتك مجدّدًا.

- همّت حريّة بالرحيل وحين وصلت إلى الباب وفتحته وأقبلت على المغادرة، أمسكتها مظلومة من يدها وقالت:

- حريّة ما فائدة الحياة إذا فقدنا الرغبة كبشر في أن نحياها؟

- إسمعيني يا مظلومة وافهمي كلامي جيّدا. إنّ الحياة ليست خيارًا بل مسارًا. ونحن كبشر أولاد القدر لا نملك قرار إنهائها. فما علينا إلا أن نحيا حياتنا بأفضل ما لدينا، وأن نواجه المشقّات والتجارب بإيمان وثبات وفي صالح الخير والحقّ، لنترك مصيرنا لمن خلقنا ليدبّر شؤوننا. عليك أن تحيي حياتك بقوة الأمل وبصدق العمل، ولا يجب أن تيأسي أبدا. لأنّ اليأس موت حقيقيٌّ، ولو ما تزالين على قيد الحياة. إبقي متفائلة دوما.

ودّعت مظلومة ضيفتها الحرّة مشرّعة الباب ومرافقة إياها إلى المصعد وكأنّ حريّة كسرت قيودها وأشعلت نار الشجاعة في قلبها. ودّعتها والدموع في

عينيها وكأنّها تخاف ألا تراها مجدّدا.

خرجت حريّة من المنزل والتقت بمتسلّط وهو يهمّ في الدخول إلى البرج بعد أن ترجّل من سيارته الفخمة. نظر إليها نظرات تمعّن، نظرات وحش يشتهي فريسة صغيرة وجميلة، إلا أن فريسته لا تخاف، فعقدت له حاجبيها استياء وامتعاضًا وغضبًا، وأكملت طريقها مغادرة مبتعدة.

في ذاك اليوم، لم تتمكن حريّة من النوم، كانت قلقة على مظلومة من متسلّط. كانت دائما تفكّر في ذاك الشخص الذي رأته وفي عينيه شرّ لا مثيل له، بعد أن سمعت عنه من زوجته ما لا يصدّقه عقل أو يفهمه وعي. أمضت الليل تفكّر في الطريقة القانونية التي ستمكّنها من النيل من متسلّط في حال تقدّمت مظلومة بشكوى ضدّه وقد عزمت على الفوز بها؛ لأنها قضية لا تعني فقط موكلتها بل تعني كلّ النساء في المجتمع. فالمرأة ركنٌ أساس في بناء مجتمعات الأوطان وتربية الأجيال، ولا يجوز معاملتها معاملة دونية، لا تقرب البتة من الإنسانية.

إنشقّ الفجر وحان موعد الاستيقاظ ليذهب كلّ انسان إلى عمله، وها هي حريّة تستعدّ للذهاب إلى مكتبها لتبدأ عملها في تحضير ملف قضية مظلومة. وصلت إلى المكتب، ارتشفت قهوتها وانكبّت على عملها، وإذا بسكريتيرتها تهاتفها معلنة وجود شخصين يريدان مقابلتها. استغربت حريّة قدومهما في الصباح الباكر، إلا أنها لن ترفض استقبال شخصين قصداها فطلبت منها إدخالهما.

وكانت المفاجأة حين دخل متسلّط ومظلومة.

وقفت حريّة من خلف مكتبها متفاجئة مصدومة وما نطقت بكلمة. تقدّم منها وهو يمسك بمعصم زوجته بقوة ويدفعها إلى داخل المكتب دفعا قسريّا، وينظر إلى حريّة نظرات شيطانيّة. وقال:

- صباح الخير أيتها المحامية، أمسِ لم تنتظري لألقي عليك التحية فأتيتك اليوم مع زوجتي، صديقتك، لألقي أنا عليك السلام.

- قال متسلّط عبارته تلك وهو ينظر بوقاحة في عيني حريّة، في حين أن هذه الأخيرة تنظر إلى مظلومة لترى خدّيها يتلألآن ببريق دمعها الصامت وقد تضاعفت دمغاتها الظاهرة من خلف غطاء وجهها، فكانت دليلا كافيا على أنها تعرّضت للضرب مجدّدا؛ وقد لاحظت أنّ ذاك المتسلّط يمسك يد زوجته بوحشية باسطًا هيمنته الذكورية عليها. فطلبت منهما الجلوس ليتابع حديثه قائلًا:

- يا حريّة، لقد كنت في ضيافتنا أمس، يا محاميتنا الجميلة! وسحب سيجاره محاولًا أن يشعله.

- إسمح لي أن أطلب منك ألّا تشعل سيجار السوء الذي في يدك.

- ولِمَ تقولين عنه سيئًا، هل دخّنته سابقا؟ وكان ما يزال يحاول إشعاله غير مكترث.

- قلت لك ألا تحاول إشعاله وإلا اضطررت أن أطلب منك المغادرة يا سيّد... كما أنّه سيجار سوء لأنّك تدخّنه استعلاءً وتكبّرًا وسيطرة وتعجرفًا. وتلك صفات لا يسمح لها بزيارة هذا المكتب. أريد أن أطلب منك أمرًا...

- تفضّلي يا جميلة. قالها ساخرًا بعد أن وضع جانبا سيجاره وولاعته.

- إيّاك أن تناديني مرة أخرى «جميلة». أرجو أن تحترم مكان عملي وعليك احترام زوجتك، فهي الجميلة الوحيدة في حياتك. لكنّك أبيت إلا أن تشوّه جمالها ببراثنك المجرمة، وأفكارك التي تشابه دخان سيجارك. والآن يا سيّد أطلعني على سبب زيارتك.

- تحسبين نفسك محامية قوية وتتسلّحين بكتب القانون وتعتقدين أنّك لا تُقهرين. أردتك أن تعلمي أنه لا يعنيني المحامون أبدا، ولا أكترث للكتب

فهي وسائل لتضييع الوقت، فالكتب لا تعود بالمال على قرّائها، ولهذا لا تهمّني. لكن إسمعي ما أتيت لأقوله لك وما ستقوله لك زوجتي.

إنّ حضورك إلى منزلي غير مرحّب به، فلا تزوري داري أبدا. عليك أن تنسي كلّ ما قالته لك زوجتي، وأن تسمعي منها اليوم ما أتت لتقوله.

هيا يا حبيبتي قولي لمن زارتك خلسةً ما تريدين قوله. ونظر بقساوة إلى زوجته وأشار إليها بعينيه الشيطانيتين أن تتحدّث وكأنه يأمرها أن تقول ما لقّنها إيّاه قبل حضورهما إلى المكتب.

- لا أريد أن أسمع من زوجتك شيئا لأنّني على يقين من أنّها لن تنطق الآن بالحقّ، أو بحقيقة شعورها أو حالتها. لأنك قد أتقنت ترهيبك لها بالضرب والتعذيب ولا شكّ أنّها ستعود مجبرة ومكرهة عن كلّ ما قالته لي.
- لكن عليك أن تسمع مني الآن حقيقة واضحة بعد أن أتحفتنا باستعلائك وكبريائك الذكوري.
- إستغرب متسلّط من شجاعة حريّة وجرأتها وكيف تتحدّث بثقة وقوة حتّى أنهالم تشعر لا بالريبة ولا بالخوف.
- في بادئ الأمر، ليس من طبعي ولا حتّى في أصول تربيتي أن أزور الناس خلسة، فقد زرت منزلك بدعوة من زوجتك المقهورة والمعذّبة. وأنا لا أستقوي بكتب القانون علمًا أنّها مصدر قوتي الفكريّة. ما عدت استغرب استعلاءك وعجرفتك لأن مصدرهما الجهل، والجهل لا يسكن إلا في أشخاص لا يعطون للكتب أهمية، بالتالي يغيّبون المصدر الأهم للمعرفة... وسجّل أنّني أثق بقوة الحقّ التي في داخلي وبرعاية خالقي وهدايته لي، لنصرة الخير والاقتصاص من الظالمين وأهل الظلام. وأنا لا أكترث لبرجك السكني وبالتأكيد لن أقربه بعد الآن، لكن الأجدى بك أن تقول لي ألّا أقرب برج تعجرفك وجهلك وتخلّفك العقلي، لأنه لا شك مرتعٌ لوحش

كاسر لا يعرف الرحمة.

- انيّ لم آتِ لأسمع فلسفة أو تنظيرًا في علوم الاجتماع. قال متسلّط مقاطعًا حريّة عن كلامها.

- ومَن قال إنّني أعطيك دروسا أيها المتسلّط ومَن لا يتقن التعلم وحده فلن يقبل التعلّم من أحد. دعني أوضح لك أمرًا، إنّ قضية مظلومة لم تعد قضيتها وحدها بعد الآن، هي قضية كلّ امرأة تعيش مسجونة برفقة «ذكر» لا يفقه بالرجولة لا مبدأ ولا فكرة. والآن لو سمحت انتظر خارجا، أريد مكالمة زوجتك على انفراد.

- زوجتي لا تريد مكالمتك. شدّها بقوة وهمّ بالرحيل خارج المكتب.

- وقفت حريّة من خلف مكتبها ونهرته بصوت واثق جهوري قائلة:

- أعجب لأمرك.

- ولم تعجبين أيتها المحامية؟ وجّهَ استفهامه وهو يدير ظهره وما التفت إليها.

- أعجب لأنني رأيت فيك شخصًا قويًّا لكن جبانا. رأيت فيك شخصًا ناجحًا لكن فاشلا. رأيت فيك زوجًا لكن ذكرًا متسلّطا. أحاول أن أرى فيك رجلا لكنني ما رأيته إلا يحيا بجهل غريزته لا بحكمة وعيه.

- إيّاك أن تتخطّي حدودك يا امرأة، إنيّ أحذّرك. أنت لا تعلمين من أنا!
التفت ونظر في عيني حريّة بحقد وكراهية وغضب شديد مشيرا لها بيده مهدّدً

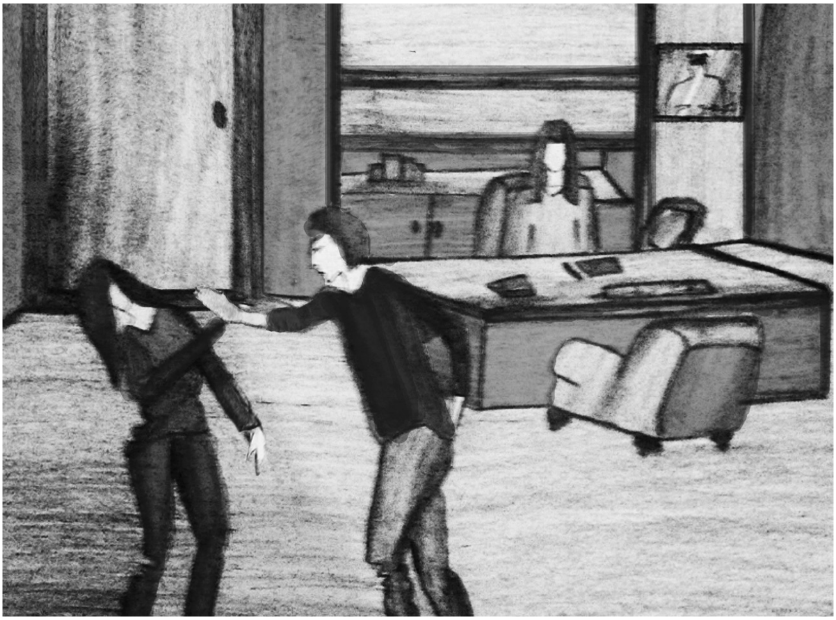

- تهدّدني في مكتبي! إعلم أنّ تهديدك ساقط سقوط الجاهلين الفاشلين. نعم، يا مَن حملت اسمك في فعلك. وإن تعتقد أنّك قوي ناجح بسلطة مالك وأعمالك وعلاقاتك تبقَ مفترسًا لا إنسانيّة فيك. فالرجولة الفعلية أن تحيا تواضعك واحترامك لذاتك قبل الآخرين، والنجاح الفعلي أن يحبّك الآخرون ويتمنّون حضورك راغبين لا مكرهين. إن الوعي يا سيّد متسلّط يحتم عليك أن تفهم أن لا كبير في هذا الكون إلا القادر القدير على كلّ شيء، فمهما عظُم شأن الفرد منّا فإنّ مصيره الفناء والاندثار. فلمَ التعجرف والتكبّر وأنت تعلم أنّ نهايتك تُنثر تحت التراب؟! والآن أعود لأسألك بكل احترام، أن تترك زوجتك لبضع دقائق في مكتبي بينما تنتظرها أنت خارجًا. إني أريد أن أسألها عن أمرٍ خاصّ.
- إن كنت تريدين التحدث بأمر ما مع زوجتي، فبحضوري ووجودي... أيتها... المحامية.

- وهل تشعر بالخوف والريبة من أن تترك زوجتك الضعيفة وحدها ولو لدقائق معدودة. لقد ظننتك أقوى من أن تخاف، وأكثر ثباتًا من أن تقلق. توجّهت حريّة بكلامها هذا وقد ازدادت تشبثًا في موقفها وعنادًا في طلبها.
- سأخرج وأنتظر. إنّني لا أخاف ولا أقلق من أحد أو شيء. وتأكّدي يا حريّة أنّني سأعلم كلّ ما دار بينك وبين زوجتي، واعلمي أيضًا أنّك ستندمين على تدخّلك السافر في حياتنا الزوجية.
- أفلا تخجل من أن تقول حياتك الزوجية. وهل تصف علاقتك بزوجتك حياةً؟ أنا أراها موتًا فعليًّا في انتظار الرمق الأخير. والآن لو سمحت، إنسحب خارجًا أريد محادثة زوجتك... تفضلي بالجلوس يا مظلومة... إستريحي لو سمحت.
- خرج متسلّط من مكتب حريّة غاضبًا يتلفّظ بكلام وعبارات تشابه أفكاره المرتدّة عن الإنسانيّة. لتقفل حريّة الباب خلفه وتجلس مع مظلومة:
- ما الذي حصل؟ لم أخبرت زوجك عن حضوري إليك؟ وكيف أتيتما سويا إليّ؟
- لم أخبره شيئا...

قالت مظلومة وهي تبكي بعد أن رفعت الغطاء عن وجهها والدمع يملأ مقلتيها وآثار التعذيب واضحة جليّة.

- ماذا جرى؟ أخبريني.
- دخل إلى المنزل وناداني غاضبًا. وحين حضرت أمامه ضربني مباشرة وسألني: «مَن تلك المرأة؟ ما سبب زيارتها لك»؟ تفاجأت كيف علم، وكنت على يقين أنك لست أنت مَن أخبرته لأنه لم يعلم في بادئ الأمر أنك محامية. ثم تابع ضربي بقوة ووحشية وهو يسألني عنك، وأنا أحاول إنكار حضورك. إلى أن قال لي إنّ حارس البرج حين رآك تدخلين يا حريّة فتبعك إلى الطابق

الثالث عشر والأخير، وهو طابقنا الخاص. وأجبرني على أن أخبره كل شيء طبعًا بعد ضرب مبرح وتعذيب شديد. فما كان مني إلا أن أخبرته كلّ شيء.

- توقّعت كلّ ما أخبرتني به فجهّزت ملف القضية وأريد أن أتابع مهمّتي بمنحك حريتك والفوز بقضيتك فقد أصبحت قضيتي وقضية كلّ النساء المعنّفات والمظلومات. هل تريدين المتابعة يا مظلومة؟
- إنّني خائفة يا حريّة... خائفة جدًّا. وأعتقد أنّني لا أقوى حتّى على احتمال التعذيب أكثر.
- مظلومة، طلبتك على انفراد لأسألك عن أمر. هل تثقين بي؟
- طبعا... وثقت بك لِمَا سمعته عنك وحتّى قبل أن أتعرّف إليك. فكيف يمكنني ألا أثق بك بعد أن سمعتك ورأيتك وأدركت كم أنت شابة حرّة تشابهين اسمك؟ إنّك قوية بثقافتك وأخلاقك وصادقة بالحقّ الذي تحملينه وبه تقاتلين.
- إذا، أريد منك أن توقّعي لي على بضع أوراق، قد تكون منها أوراق بيضاء، هلّا وقّعت؟
- ولماذا تريدين مني التوقيع على بضع أوراق بيضاء فارغة؟
- إنّي لا أثق بزوجك وقد يمنعني من رؤيتك مرّة أخرى. أخاف عليك جدًّا وقد قرّرت وعزمت على الدفاع عنك.

لذا سأحضّر أوراقي وملفّ الدعوة بوجه زوجك، لأطلب من القضاء حمايتك حتّى انتهاء الدعوة، وقد أحتاج إلى توقيعك. لكن في حال سألك متسلّط عمّا دار بيننا، لا تقولي له شيئًا عن توقيعك الأوراق إنّما قولي له إنني سألتك عن عدم هجرك له، وأنك أخبرتني، بأنّ ما يحصل بينكما أمر بديهي وأنك تحبّينه جدًّا... إتفقنا.

- إتّفقنا. والآن أعطيني الأوراق.
- قدّمت حريّة لمظلومة أوراقًا كثيرة، منها أوراق توكيلها كمحامية للدفاع عنها. ووقّعت لها على أوراق بيضاء كثيرة وتركت لها صورة عن هويتها وقبل أن ترحل نظرت إلى حريّة قائلة:
- يا حريّة، لماذا نحيا؟
- من أجل الحقيقة...
- وعن أيّة حقيقة تتحدّثين؟
- حقيقة وجود الخالق المتجسّد في عظمة كونه وتكوين كائناته. إنّ لكلّ منا مهمة كلّفنا بها من لحظة خلقنا يا مظلومة، ولا بدّ أن نتمّمها في صالح الخير والحقّ.
- أتمنّى أن أجد مهمتي وأن أتمّمها بأسرع وقت لأنّني أشعر أنّ زمني قارب على انتهائه.
- إيّاك واليأس يا صديقتي. فاليأس قاتل، ثابري بقوة عزيمتك وإرادتك، فتعقّلي دومًا وتوكّلي، وتفاءلي دوما بنور الخير ولا بدّ ستجدينه.

حضنت حريّة مظلومة وطلبت منها ألّا تخاف لأنّها ستبقى إلى جانبها داعمة مهتمّة، مؤكّدة لها أنّه ولو انتصر الباطل في جولة فلا بدّ أن ينتصر الحقّ في المعركة لا محالة... ابتسمت مظلومة وكانت بسمة أمل وسكينة تعكس للمرة الأولى سلاما داخليا فيها، وخرجت لترحل وزوجها من مكتب حريّة... تاركة هذه الأخيرة غارقة بين أوراقها وملفّ القضية الذي أولته كلّ الإهتمام.

ومرّت أيام ثمّ وصل ملف صغير مقفل إلى مكتب المحامية لتفتحه وتقرأ رسالة كتب فيها:

إلى الصديقة الغالية، إلى فارسة الحقّ حريّة.

أراسلك لأعلمك أنّي قد أيقنت أخيرًا مهمّتي في هذا الكون، ومهمّتي في هذه الحياة تتمثّل بأن أنهي حياتي من أجل خلاص روحي وخلاص حياة أخريات يشاركنني الأسى.

نعم لا بدّ من التضحية في سبيل تحقيق غاية إنسانية أسمى. وإنّي لأسرّ بالقيام بتلك التضحية بعد أن فقدت كلّ شيء. أنا لا أجد حتّى سببًا واحدًا لأحيا من أجله، لكن أجد في موتي إنجازًا ودافعا يغنيان قضيتنا دليلًا وقرينة.

أعلم أنّ في الإنتحار خطيئة كبرى لكنّني فقدت كلّ أمل في الحياة. ما عدتُ أحتمل المواجهة والتحدّي، ما عدت قادرة على احتمال التسلّط.

أتمنّى أن تسامحيني يا حريّة، وأريدك أن تعلمي أنّني أثق بك كلّ الثقة، وأنّك لا بدّ ستنصفينني وتنصفين كلّ النساء المعنفّات من أزواجهنّ.

قد أرسلت إليك ملفات وأوراقًا مهمّة تدين متسلّط وتفضح أعماله غير المشروعة. وتلك الأوراق

دليل ثابت وقرينة واضحة لإدانته. أرجو منك أن تشاهدي القرص المدمج المرفق مع الرسالة، وذاك دليل آخر يوثّق تعنيف متسلّط وإجرامه.

وفّقك الله في مسعاك وصوّب خطاك. وأنتِ بقوّة الحقّ لمنتصرة دومًا يا حريّة.

الوداع...صديقتك مظلومة

أنهت حريّة قراءة الرسالة بعد أن لاقت الدموع طريقها الى خديّها، وأكملت قراءة الأوراق كافة، وشاهدت القرص المدمج الذي أرسلته إليها. وعزمت على مقاضاة متسلّط وزجّه في السجن لينال عقابه، فبطريقة أو بأخرى كان هو السبب الرئيس لانتحارها.

تأكّدت حريّة من خلال معارفها ومن الصحافة والإعلام من انتحار مظلومة بعد أن ألقت بنفسها من الطابق الثالث عشر من برج ذاك المتسلّط. وأكّدت تقارير الشرطة على الانتحار في حين تثبّتوا من حجّة غياب الزوج. ومن خلال شهادة حارس البرج وعرض أشرطة المراقبة تبيّن أن أحدًا لم يدخل شقة الراحلة في ذاك اليوم.

ثارت حريّة غضبًا على ذاتها لأنّها لم تستطع مساعدتها وردعها عن إنهاء حياتها بيديها، وكيف سمحت لذاك المجرم أن يسترسل في تعذيبها حتّى دفعها إلى الانتحر.

لذا صمّمت على فعل المستحيل من أجل أن ينال عقابه، فتثأر ثأرا محقّا لمظلومة وأهلها وكلّ مَن أحبها، ودفاعًا عن كلّ اللواتي يعانين معاناتها.

تقدّمت حريّة باسم عائلة مظلومة، بعد أن استأذنتهم وبالوكالة عنهم، برفع دعوة جزائية لمقاضاة متسلّط، بإتهامه على أنّه كان الدافع والسبب الرئيس لانتحار ابنتهم. كما أنها سجّلت نسخا عن دليلها الماديّ، محتفظة بنسخة لنفسها وأخرى قدّمتها قرينة إضافية لتدعم بها قضيّتها. وأرفقت رسالتين موجّهتين من مظلومة إليها، وأوراقًا أخرى تدين متسلّط بجرائم فساد واختلاس.

كانت القضية شائكة وصعبة ومصيرية بالنسبة إلى حريّة، لأنّ تقرير الطبيب الجنائي أثبت الانتحار بالتالي يكون متسلّط قد تفلّت من تهمة القتل، وملاحقته ستكون بجرائم معنوية، وهذا ما قد لا يحاسب عليه القانون، وهو شخص نافذ له علاقاته مع مسؤولين رفيعي المستوى، أي أنه لن يكون لقمة سائغة للقضاء.

إلا أن حريّة اتّخذت على نفسها عهدًا بمعاقبة الزوج، وقررت إنصاف الزوجة حتّى بعد رحيلها عن عالمها. فرأت في هذه القضية قضية كلّ النساء المعنّفات والمظلومات، وأرادت أن تحدّ من العنف الأسري من خلال نجاحها بمعاقبة الزوج، كي يكون درسا لأمثاله في المجتمع.

تقدّمت بالأدلة للنيابة العامة ورفعت القضية على متسلّط، لتستدعيه الشرطة من أجل الاستماع إلى شهادته بإشارة من النيابة العامة، فقوبل بالأدلّة وبنصّ الدعوة... وأثناء حجزه على ذمة التحقيق واجهت حريّة الأمَرّين إذ وصلت إليها رسائل تهديد من أشخاص مجهولين، فصارت تشعر دائمًا أنّها مراقبة، إلى أن طلبت من ابن عمها شجاع أن يرافقها إلى المكتب صباحا وأن يحضر ليقلّها مساءً، كتدبير احترازي، حرصا من أن يتعرّض لها أحدهم. وسرعان ما تلقّت اتّصالا مخيفا ذات يوم، وكان صوت متسلّط يضجّ غضبًا في الناحية الأخرى:

- أيتها الغبية! هل تعتقدين أنّك تستطيعين اتّهامي ومقاضاتي وتنجين بفعلتك ؟
- تتّصل من سجنك، لا بدّ أنّك لجأت إلى الرشوة أيضا!
- لست في السجن إنّما في الحجز وسأخرج غدًا. إحرصي ايتها المرأة المدعية وكوني حذرة، لأنني سأتفنّن في تكسير كبريائك عند خروجي.
- أيّها المجرم، إسمعني جيّدا. إن مَن يعمل ويقل الحقّ فلن يخيفه أي شيء أو أي أحد، وخصوصا المجرمين أمثالك. لأنّ المجرم جبان حتّى لو أتمّ جرمه. فالمجرم لا يقتل إلا لأنّه ضعيف ويفتقد الوسيلة الصائبة لإثبات موقفه أو كسب احترامه بين الناس.

وتذكّر أنّني حريّة! كيف لم تسمع عني؟ إنني أحيا أنوثتي بقوّة عقلي، وأحيا جسدي بقوّة نقاوتي، وأحيا موقعي الاجتماعي بقوّة صدقي.

فلا أنت ولا أحد غيرك سيخيفني. أنت مَن عليه أن يخاف لأنّني قد أتقنت نسج ثوب العقوبة لك بقرائن زودتني بها زوجتك.

- قرائن؟ قالها بصوت متقطع ومتردّد...

- أراك ضعفت وهزلت وأصبحت كالحمل الهارب من سفّاحه، بعد أن اعتقدت أنّك ذئب يطارد فريسة سهلة. تأكّد أنني سأفعل المستحيل حتّى تنال عقابك اللازم، ولكي تكون عبرة لمن اعتبر، ولكي أنصف زوجتك المقهورة في مثواها.

- إنك تلعبين بالنار أيتها المحامية...

- ألاعبها ولا ألعب بها. هي نار الحقّ التي ستنهشك وتقلق راحتك بجمر ضميرك الغائب يا من فقدت الإنسانيّة.

- إذا لا تريدين أن تتعقّلي! إعلمي أنّك جلبت لنفسك العذاب.

- إنّ العذاب لو زار البشر وهم في طريق الحقّ سائرون فلا بدّ أن يطوّبهم حتّى يرقَوا بذواتهم.

أقفلت حريّة الخط بعد تلك العبارة، وكانت على يقين أنه يهدّدها مباشرة لتسحب دعواها ضدّه، وتأكّدت أنّه مَن يلاحقها ومن يرسل إليها رسائل التهديد. لكنها كانت مصرّة على مقاضاته ومعاقبته.

وفي اليوم التالي وصلت باقة ورد إلى مكتب حريّة، استلمت هديّتها وأدركت أنّ في داخلها رسالة فتحتها وقرأت فيها «**لا تخافي من متسلّط لقد وضعت له حدًّا**». والغريب أنّ الرسالة لم تكن مُذيّلة بتوقيع.

استغربت حريّة الأمر، إلا أنّها اعتبرتها مواربة من متسلّط وجماعته، وقد تكون فخًا ينصب لها. لكنها تأكّدت من العكس، لحظة استقبلت اتّصالا من متسلّط في ذاك اليوم ليقول لها:

- إأعتذر منك يا حريّة. نعم، أنا أعتذر لأنني هدّدتك، وأعتذر لأنني أرسلت رجالا لملاحقتك وقد عزمت على إيذائك. لم أكن أعلم أنّك ممن لهم علاقاتهم أيضا. لم أكن أعلم أنّك محمية من أهم رجالات البلد. إنّني أعتذر، ستكون جلسة المحاكمة غدًا وسأرضى بالحكم الصادر عنها، وسأنسى أنّني رأيتك أو حادثتك...

حاولت حريّة الاستفسار عن التغيير المفاجئ الذي أصابه إلّا أنه أقفل الخطّ مباشرة بعد أن أنهى كلامه.

ربطت حريّة موقف متسلّط المتغير بوصول باقة الورود وبمضمون الرسالة فيها. وتعجّبت كثيرا ممّا قاله لها عن حماية من أقوى رجالات البلد، متسائلةً عن قصده. بيد انها لم تُعر الأمر أهمية، وتابعت تحضيرها ليوم المحكمة لتطرح قضيتها المحقّة والمشروعة، والتي ترى فيها قضية وجود المرأة ودورها البناء في إعلاء أسس المجتمعات.

أتى اليوم المنشود، يوم المحاكمة، وصلت حريّة إلى مكتبها لتتحضّر وفريق المحامين معها للذهاب إلى المحكمة لتُباغَت بباقة ورود مماثلة لتلك التي سبقتها، فاقتربت باحثة عن الرسالة داخلها. وكما توقّعت «**إذهبي مطمئنة ستعودين بأمان منتصرة**».

احتارت حريّة فأخذت تساءل نفسها: ترى مَن ذاك الذي يرسل إليها الورود؟ وكيف يعلم ماذا يجري في حياتها العملية؟ وكيف يكون واثقا من نجاحها وعودتها آمنة منتصرة؟ أسئلة كثيرة راودتها إلا أنّها حاولت أن تبقي تركيزها على قضية مظلومة لإنصافها ومعاقبة زوجها المتسلّط.

ذهبت حريّة إلى المحكمة، متسلّحة بثقة نفس عالية، وبمعلومات وقرائن ستدين بها المدّعى عليه. لكنّ أمرًا غريبًا وصادمًا صادفها حين رأت هيئة الدفاع عن المتهم يرأسها السيّد مشهور.

نعم، إنه أستاذ حريّة ومعلّمها، المحامي النموذجي الذي ترى فيه شخص النجاح بعينه والذي تدرّجت على تعاليمه وإرشاداته، واستفادت كثيرا من خبراته الواسعة والقضايا الصعبة التي أوكلها إليها يوم كانت في أولى خطاها.

كيف ستواجه أستاذها، وهل تملك القدرة على ذلك؟ هل تعتبر مواجهته خيانة ونكران جميل؟ هل ستكون كمحامية على قدر الأمانة الموكلة إليها؟ هل ستستطيع الفوز على مَن لم يخسر حتّى قضية واحدة طوال مسيرته العملية؟ انه لامتحان صعب تواجهه حريّة في أولى قضاياها التي تتولّاها كمحامية مستقلة ومحترفة.

وحين رآها أستاذها نظر إليها قائلًا:

- قد قرأت نصّ الدعوة وعلمت أنّك تمثّلين جهة الإدعاء، ولم أتّصل بك أو أتواصل معك، إلا لأنّني أريد أن أختبر كفاءتك الحقيقية يا تلميذتي.
- وهل أصبحت يا أستاذي المحترم تترافع عن مجرمين؟
- وكيف تطلقين الأحكام قبل حكم القضاء؟ هذا ليس تصرّفًا صائبا من محام مبتدئ.
- ليس الابتداء عيبًا يا أستاذي، فكلّ جبل يعرف أنّ السهل وداعته والقمّة عنفوانه.
- تتحدّثين بجرأة ومن دون رهبة!
- لم أعرف الخوف قط منذ رحيل شقيقي طَموح. وإنّي أزداد قوّة مع الأيام، لأنّني أختبر قوّة الحقّ وجسارة الحقيقة.
- لا شكّ أنّك محامية فطنة ولكن قد تقودك ثقتك الزائدة إلى الخسارة يوما ما. فتنبّهي يا تلميذتي.
- إن كان تكرار كلمة تلميذة يشعرك بالعظمة، فتأكّد يا أستاذي أنني أفتخر

بتلك الكلمة. لماذا؟ لأنّ الفخر لتلميذ ارتقى بمحبّة الناس وعلمه ليواجه «مصادفة» معلمه في قضية صعبة هو أعظم انتصار له. فحتّى الخسارة أمامك فوز لي، لأنني سأكتفي بشرف المواجهة مع الخبرة والشهرة والعلم.

- أتدركين أنّك خاسرة؟

- أُدرك أمرًا وحيدًا، إنّني مقتنعة كلّ الاقتناع من إدّعائي على موكلك. هو مجرم فاسد، قد عنّف زوجته ودفعها إلى الانتحار، وأنا هنا اليوم لأتأكّد من تحقيق العدالة.

- تأملين كثيرا، إنّ موكلي بريء. لكنّني سأشفق عليك بعد انتهاء الجلسة لأنّ خسارة قضيتك الأولى ستكون خيبة أمل مدمّرة.

- تأكّد أنّ تلميذتك لن تعرف الفشل ولو أدركت الخسارة في قضاياها. فشتّان بين الفشل وبين الخسارة. الفشل موت في الحياة أمّا الخسارة فهي دافع لربح معارك أخرى.

- فلسفة عميقة. أحسنت تعلميك!

- قد تكون أستاذي في المحاماة إلا أنّ معلّمي الحقيقي في التصرّفات والتعاليم والوجود هو وحده شقيقي طَموح. ولن أسمح لأحد، كائنًا مَن كان، أن يتبوّأ العرش الذي منحته إيّاه في حياتي. والآن أعذرني يا أستاذ مشهور أريد تحضير أوراقي للمرافعة. أتمنّى لك التوفيق.

لكن تذكّر أمرًا: مهما حمل الإنسان منّا شهرة وقوة، غير أنّه أمام الحقّ لا بدّ أن يضعف الأقوياء ليخنعوا للحقيقة والصوابية. ومهما طال زمن عتمة الظلم فلا بدّ له أن يحترق بنور الحقيقة.

وبدا الانزعاج جليّا على الأستاذ مشهور، فتلميذته تواجهه بكلّ جرأة من دون أن تهابه ثمّ قرّر أن يكسر ثقتها بنفسها ويجعلها تخسر قضيتها...

بدأت المحكمة. طلب القاضي من النيابة العامّة أن تتقدّم بنص الدعوى، ليلقي المدعيّ العام التهم الموجّهة إلى متسلّط، بجرم التحريض على الانتحار، واختلاس أموال، وتهرّب من الضرائب، وإثراء غير مشروع...

توجّه القاضي بالسؤال إلى متسلّط بعد أن طلب منه اسمه الكامل ومهنته:

- ما رأيك، أيّها المتّهم، بالتهمة الموجهة إليك بالتحريض على القتل، من خلال دفع زوجتك إلى الانتحار؟
- إنّها مجرّد إدّعاءات وإشاعات لا تمت إلى الحقيقة بصلة أبدًا يا سيدي القاضي.
- أتنكرُ كلّ تلك التهم الموجّهة اليك؟
- نعم يا سيدي القاضي، إنّني بريء منها كلّها.

هنا تدخّل الأستاذ مشهور للدفاع عن موكله، وبدأ مرافعته. وأبرز ما جاء فيها إصراره على براءة موكّله مستندًا إلى تقرير الطبيب الشرعي الذي أثبت وفاة الزوجة انتحارًا جرّاء ارتطامها بالأرض بعد وقوعها من ارتفاع شاهق.

وتقدّم من هيئة المحكمة بنسخ عن محاضر التحقيق التي تثبت عدم وجوده في المنزل حين وقوع الحادثة. وبالتالي كيف يدفع المتهم زوجته إلى الإنتحار وهو لم يرها يومها ولم يزرها؟

هنا اعترضت حريّة على إجابة متسلّط، كذلك على مرافعة هيئة الدفاع ووقفت قائلة:

- سيدي القاضي، أستغرب مرافعة الدفاع، ففيها خروج عن إطار القضية، لاسيّما أنها صادرة عن أستاذ متمرّس في مهنته. فمَن قال إنّ التهمة هي القتل حتّى يترافع الدفاع بحجج ودلائل تثبت حجّة غياب المتهم؟ إنّ التهمة هي التحريض على القتل أي الدفع إلى الانتحار، وهذا جرم لا

يتطلّب وجود المجرم في ساحة الجريمة! فعلى هيئة الدفاع أن تراجع تفاصيل القضية لعلّها تتبيّن حقائق تكون قد غفلت عنها. ولكن هل يمكنني أن أسأل المتّهم بعض الأسئلة يا سيدي القاضي؟

ردّت حريّة بجرأة وقوّة على مرافعة الدفاع وكانت علامات الغضب والتوتّر قد بدت واضحة على معالم وجه السيّد مشهور، وهو يراقب تلميذته في قمّة تألّقها أمام قوس المحكمة، واستمرّت الجلسة فقال القاضي:

- نعم، إسألي. لكن أرجو منك تعليل اعتراضك وتوضيحه على إدّعاء المتّهم ببراءته.
- حاضر يا سيدي القاضي.. يا سيد متسلّط... قد سمعت أنّك رجل عصاميّ بدأت حياتك العملية كموظّف يتقاضى راتب الحدّ الأدنى من الأجور.
- أعترض يا سيدي القاضي، فسؤال الإدّعاء خارج عن إطار القضية، قال الدفاع.
- إعتراض مقبول... أتمنّى منك يا أستاذة أن تصوّبي أسئلتك مباشرة إلى جوهر القضية المطروحة.
- حاضر يا سيدي القاضي، هلّا أذنت لي طرح أسئلتي بالترتيب الذي أرتضيه، لأنّني أريد من السيّد متسلّط أن يستخلص بنفسه أين أخطأ في حقّ زوجته. وأعدك أن تكون أسئلتي قصيرة وأن تصل بنا إلى المبتغى لحلّ عقد هذه القضية.

حسنًا، ولتكن أسئلتك أكثر وضوحًا وارتباطًا بتفاصيل القضية.

أومأت حريّة برأسها احترامًا للهيئة القضائية والتفتت بعينيها الواثقتين نحو متسلّط:

- قد بدأت حياتك المهنية موظّفا فقيرا، لكنك قبل أن تصبح رجلا ناجحًا وثريًّا، كنت قد استقلت من عملك. ومن خلال مقابلة لك من على منابر الإعلام التي تهوى استضافتك والاستماع إلى مغامراتك، سمعتك تقول إنّك لم تستقل طواعية من العمل إنما أُجبرت. وعلى الرغم من أنه قرارٌ صعب ومؤذ في حينه بايقاف مدخولك الوحيد، غير أنّه كان نقطة التحوّل في حياتك المهنية، فقد كان الدافع إلى هجرتك خارج البلاد حيث دخلت عالم التجارة، كما تقول، وبدأت بجمع الثروة.

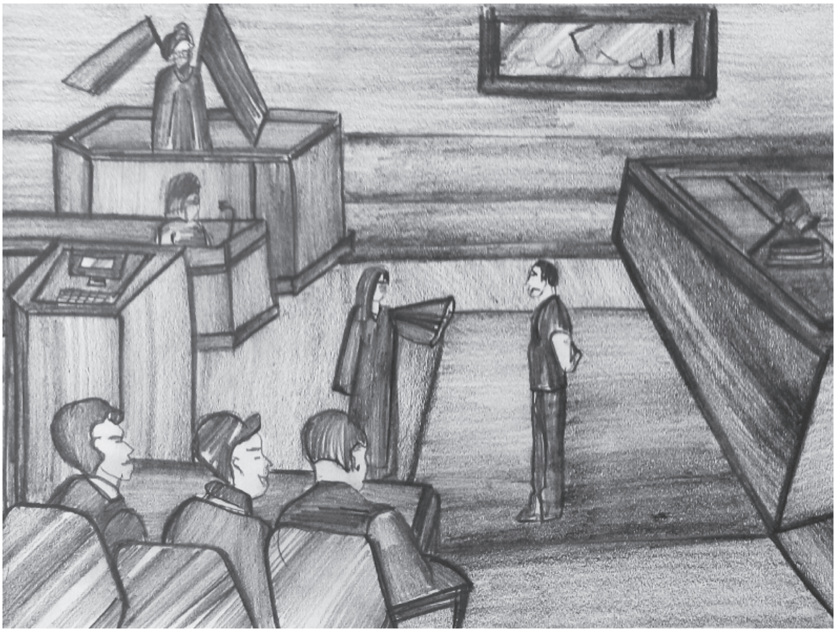

- إني لا أرى مبرّرًا لهذه الأسئلة السخيفة الخارجة عن إطار القضية يا سيدي القاضي. لذا أسجّل اعتراضي.

- آنسة حريّة أطلعينا عن سبب هذه الأسئلة فهي بغير مغزى. أرجو منك الدخول في صلب القضية، هذه هي المرة الأخيرة، ولن أسمح لك بعدها بمتابعة أسئلتك.

- ما تعوّدت أن أطرح أمرًا بلا سبب وجيه وبعيدًا عن القضية إلا أنّني اهدف لأمر ما سنستوضحه جميعًا من المتّهم يا سيدي القاضي. أرجو منك أن تمنحني بعض الوقت الإضافي.

- حسنا، تابعي بسرعة وبدقة، لو سمحت.

- هل ما ذكرته عن ماضيك صحيح يا سيد متسلّط؟

- نعم. إنّي أفتخر بكل ما ذكرته قبلا. هو دليل على رجولتي وعصاميتي وصناعة شهرتي وثروتي بجهدي الخاص.

- حسنا أمّا ما أردت سؤالك عنه فهو سبب استقالتك.

- لا تقولي استقالة! ذاك المدير المتعجرف كان سارقًا وفاسدًا وقد كنت محاسبًا بسيطا في شركته. وبعد أن اكتشفت ألاعيبه وتهرّبه من الضرائب المترتّبة عليه، طلب مني أن أسهّل له أمر تهرّبه الضريبي وسرقة الزبائن من خلال التلاعب بحساباتهم. رفضت، وعندما أصررت على مواجهته، هدّدني. فما اكترثت لكنّه بدأ يجتزئ من راتبي من دون سبب وجيه، كما بدأ يسلّط عليّ موظفيه الفاسدين ليتهجموا عليّ ويزعجوني أثناء دوامي، إلى أن ضاقت بي الحال وقرّرت أن أستقيل، وبالطبع كان ذاك المجرم مسرورًا.

- ولِمَ تقول إنّه «مجرم»؟

- لأنه أجبرني على الاستقالة.

- وإن استقلت فهل هذا سبب كافٍ لتتّهمه بالإجرام؟

- نعم. بالتأكيد. قد كان مجرمًا لأنه يعلم بحالي، ويعلم أنّني كنتُ شابًا فقيرًا آنذاك ومسؤوليات جمّة تثقل كاهلي، وأن الإستقالة ستكون بمثابة إقدامي

على الانتحار. ولم يكترث. فكانت استقالتي.

- إذا جعلتنا نستنتج أنّ مديرك مجرم لأنه دفعك إلى الاستقالة بعد أن رفضت مجاراته، واستقالتك آنذاك كانت بمثابة الانتحار.
- نعم، حصل الأمر كما قلته. لكنّني لا أعلم لم كلّ تلك الأسئلة السخيفة؟ ما علاقتها بقضية انتحار زوجتي؟
- أقلت انتحار زوجتك؟ هلّا سألت نفسك لم عساها تنتحر؟
- إلام تلمحين؟
- إنيّ واثقة أنّك أدركت قصدي.
- أعترض يا سيدي القاضي. إنّ الإدعاء يتوجّه بالإتّهام المباشر لموكلي، وهذه إهانة للمحكمة ولجانبكم الكريم، فالحكم لم يصدر بعد.
- إعتراض مقبول... أستاذة حريّة، هي المرة الأخيرة التي تتوجّهين بها إلى المتّهم بصفات أو نعوت اجرامية قبل إثبات إدانته بحكم من المحكمة.
- حاضر. واعتذرت حريّة من القاضي وأكملت استنطاق متسلّط: لقد كنت تسألني عن قصدي من استفهاماتي، سأجيبك بوضوح. لكن قبل ذلك، أخبرني كيف كانت علاقتك بزوجتك؟
- جيدة جدًا بل ممتازة.
- جيدة جدا وممتازة! إذا كانت كما تدّعي، هل تستطيع أن تعلّل لنا هذه الصور وتشرح سبب الكدمات على وجه زوجتك وجسدها؟! وهمّت حريّة بعرض الصور التي تملكها على هيئة المحكمة.

استلم القاضي الصور وتمعّن بها، وصُعق متسلّط لامتلاك حريّة قرينة حسيّة، فجنّ جنونه وثار غضبه. وقبل أن يسبقه لسانه على ذلّة قد تكلّفه حريّته، وقف محامي الدفاع معترضًا على صدقية الدليل مبرّرا الأمر بفرضية التلاعب

بالصور من هيئة الإدعاء، وقد تكون غير حقيقية. فالتفت حريّة ثمّ قالت:

- سيدي القاضي، قد تكون هذه الأدلة غير كافية أو مشكوك بأمرها، إنّي أوافق الدفاع رأيه.
- وهل تشكّكين بالدليل الذي حملته أيتها المحامية؟ وما دمت مشككة بالقرينة التي تمتلكينها، لم عرضتها أساسًا؟
- هذا يثبت ضعف الإدّعاء يا سيدي القاضي وعدم امتلاكه الحقائق، بالتالي هشاشة بناء قضيته.
- أعذرني يا سيدي القاضي. لست ساذجة أو بلهاء حتّى أقدّم قرينة ضعيفة أو كاذبة، إلا أنّني وافقت الدفاع على هشاشة قرينتي، لأنّني أمتلك ما هو أقوى منها، وما الصور إلا البداية. وإن كان جانبكم يشكّك في تلاعبنا بالصور، فهل ستشكّكون أيضا في تلاعبنا بمقطع مصوّر يوضح تعنيف المتهم لزوجته صوتًا وصورة؟

حينئذ صُدم الدفاع، وجلس إلى مقعده ساكنًا مصعوقًا. وعمّ الهدوء للحظات قاعة المحكمة. وإذا بحريّة تتقدّم من المتّهم لتهمس له على مقربة منه. أعدك أيها المجرم أنك ستنال قصاصك. فكما دفعك مديرك السابق إلى الاستقالة من عملك ووصفته بالمجرم. ها أنت قد دفعت زوجتك الضعيفة إلى الإستقالة من الحياة نهائيا. لذا أعدك أنّني سأجعل منك عبرة لمن اعتبر.

فقاطعها القاضي وقال:

- وهل تدّعين أنك تملكين دليلا بالصوت والصورة؟
- تأكّد يا سيدي القاضي، ما كنت لأتقدّم بدعوة قضائية عن امرأة وقّعت بيدها استقالتها من الحياة مجبرة ومكرهة جرّاء تعنيف وحشٍ يساكنها، إلا في حال امتلاكي قرينة تدخل ذاك الكائن إلى قفص يردع وحشيته ويبعده

عن الناس. وإليكم الدليل في هذا القرص المدمج.

- هذا كذب وافتراء... كذب وافتراء... هذه أدلّة كاذبة... لا يعقل أن تمتلكيها... كيف؟ لكن كيف؟ لا يعقل أن تكون هناك آلة تسجيل؟ كنت أراقب البيت وأفتشه دومًا! وفقد متسلّط صوابه وأسال لسانه بكلام نابٍ جارح.

- أتراقب وتفتّش؟ هل كنت تعامل زوجتك كسجينة حتّى تراقبها وتفتشها؟ أرجو من هيئة المحكمة تسجيل عبارة المتهم كشهادة على تعنيف زوجته.

- إنّك كاذبة... إنّك امرأة كاذبة...

وتدخّل القاضي ليسكت المتهم بعد فورة غضبه. فقد نجحت حريّة في استفزازه ودفعته إلى الاعتراف وهذا لا يتقنه إلا المتقدون ذكاءً. وبعدها توجّه القاضي قائلا:

- هل انتهى الإدّعاء من استجواب المتّهم؟ هل قدّمت يا أستاذة كامل الأدلة التي في حوزتك؟ سنرفع الجلسة ساعةً من الزمن حتّى تتثبّت هيئة المحكمة من مضمون الأدلة وإصدار الحكم.

- سيدي القاضي، أمتلك أدلة إضافية، لكن اسمح لي أن أقول لهيئة المحكمة الموّقرة، ما قام حقّ ولا استقام إن لم يكن ميزان العدل في هذا الكون الفاني حقيقةً. والظالم منحه خالقه القدرة على نشر ظلمه، لا لأن الخالق ظالم، حاشى ذلك! فالخير ما عُرف لولا ظهور الشر، والنور ما أشرق لولا قساوة الظلمة. فإنّ ظلم متسلّط لزوجته كان حقيقةً وقضيتها هي حقًّا قضيّة كثيرات مظلومات. وإنّ القضاء عليه إيضاح الصورة وتثبيت الحقيقة. هذه القضية وسيلة لإحقاق الحقّ وإجلاء واقعة لا بدّ من كشف ملابساتها، وليست مظلومة إلا جسر عبور لإنقاذ أخريات كثيرات.

سيدي القاضي، أنا على يقين أنّك ستكون منصفًا. وها هي الأدلة جميعها

تدين المتّهم بالفساد المالي، وبجرائم التهرّب من الضرائب، واستثمارات غير مشروعة تضرّ بالاقتصاد العام وتهدّد أمننا الاقتصادي والقومي، وهذه بيانات توضح مداخيل مبهمة قد تتأتّى من مشاريع غير مشروعة.

وفي حال سألتني هيئة المحكمة الموّقرة كيف حصلت على هذه الأدلة فاشكروا شجاعة مظلومة التي قرّرت أن تضحّي بنفسها من أجل إحقاق حقّها ونصرة قضيتها.

وعلى الرغم من أنني أعي أنّ هذه الأدلة لن تؤخذ في الاعتبار لإدانة المتهم بإيذاء زوجته وتعنيفها ودفعها إلى الإنتحار، إلا أنني أسألكم التمعّن بها كافّة، وأسأل جانبكم أن تقرؤوا في الأدلة إجرام متهمٍ لم يهتمَّ إلا بتعنيف زوجته ومخالفة القوانين.

إنّ القضاء هو الجهة الوحيدة التي تسقي بذور الأمل في عقولنا، فننقلها إلى أجيالنا حتّى يبقوا وتبقى هويتنا الإنسانية. شكرًا.

كانت حريّة تخطب في هيئة المحكمة بأسلوب لطيف لكن قويّ بصدقه وصائب برسالته. حتّى أن بعض الحضور في المحكمة وقف هاتفًا يؤيّدها وهيئة المحكمة كانت متأثرة أيضًا بمرافعتها التي أبدت فيها جديّة واحترافًا وثقافة واسعة مكنّتها من السيطرة على المتهم وهيئة دفاعه.

رفع القاضي الجلسة للتشاور وإصدار الحكم، وخرجت الهيئة من القاعة للتداول، وإذا بباقة ورود كبيرة تصل إلى القاعة لتُسلّم إلى حريّة فتتفاجأ بهذا التصرّف أمام الجموع.

فمن يملك جرأة إرسال باقة الورود تلك؟ بدأ هذا الموضوع يشكّل لغزًا كبيرا ويأخذ حيّزا أعظم من تفكيرها لمحاولة معرفة المرسل، لكنّها كانت دومًا تتفاجأ من الرسائل التي تحتضنها تلك الباقات في داخلها، وهذه المرّة أخذت الظرف الصغير لتقرأ بضع كلمات فقط: «**أنت حريّة والحريّة منتصرة**».

وعلى الرغم من ارتباك مشاعرها، طلبت من مساعدها أن يخرج الباقة خارج القاعة، ولم تسمح لأحد أن يلحظ استغرابها أو أن يتنبّه لانزعاجها، فهي تريد أن تبقي تركيزها على قضية مظلومة.

وبينما كانت تائهة بين أوراقها وملفّ قضيتها، ومتسلّط يتشاور مع محاميه محاولا إيجاد الحلول لكي يلوذ من قفص لا بدّ أنه صار يشعر بضيقه وعذاب قضبانه، صرخ الحاجب: «محكمة». فعمّ الصمت ووقف الجميع، لتدخل بعدها الهيئة، ويُطلب من الحضور الجلوس والهدوء للنطق بالحكم. فقال القاضي:

بعد أن قمنا بمعاينة محاضر التحقيق في قضيّة انتحار المواطنة مظلومة، وبعد أن درسنا أدلة هيئة الإدعاء وتمعّنّا بها جيدًا، وبعد الاستماع إلى الدفاع ودفوعه، نجد المتّهم مذنبًا بجرم تعنيف زوجته ما دفعها إلى الانتحار. وإنّ هيئة المحكمة تدينه بالاتّهامات الموجّهة إليه.

لذا حكمت المحكمة حضوريّا على المتهم، بالسجن لمدة خمس عشرة سنة، لترافق السنوات الخمس الأولى من الحكم أشغال شاقة لا يمكن تأجيلها أو حتّى إبطالها. إضافة إلى دفع تعويض مالي لعائلة زوجته وقدره مليون دولار. إنّ المحكمة ستبرز للأجهزة الأمنية والقضاء المختص الأدلة والقرائن المقدّمة من هيئة الإدعاء في ما خصّ جرائم الفساد والتجارة غير المشروعة والتهرّب الضريبي لكي ينال المجرم جزاءه على أفعاله الجرمية في حال ثبوت التّهمة عليه.

وصرخ القاضي بصوت مرتفع بعد إصدار الحكم: رُفعت الجلسة.

خرجت هيئة المحكمة من القاعة لتسوق القوى الأمنية المتّهم إلى السجن، وبدأت ترتفع الأصوات التي تهتف مناصرة لحريّة وقضيتها المحقّة، وأخذ الحضور

يقدّم التهنئة للمحامية التي دافعت بجرأة ومصداقية عن امرأة مظلومة تمثّل كلّ النساء المعنّفات في العالم.

ثمّ تقدّم الأستاذ مشهور من حريّة قائلا:

- إنيّ، ومنذ اليوم الأوّل حين عرفتك طالبة متخرجة، رأيت في عينيك شرارة لم أرَها قطّ. إنّ في عينيك بريقا يُبهر، بريقا فيه ثقة بالنفس لا محدودة، وقوة وإرادة لا تنكسران وروحا لا تعرف الاستسلام، وكنت متأكّدًا من نجاحك ولكنّي لم أتوقّع أنّك ستمتلكين القدرة على مواجهتي والتفوّق عليّ.
- لم أواجهك يا أستاذ. ولا أعتبرك خاسرًا أمامي اليوم. غير أنّ جلّ ما حدث أنّ الحقّ انتصر والشرير نال عقابه، أمّا نحن فكنّا نؤدّي أدوارًا رسمها لنا القدر، كما رسم لنا المواجهة لأنتصر للحقيقة والخير. كل الاحترام لشخصك، قد تعلّمت منك الكثير ولك مني كلّ تقدير.
- أتمنّى لك التوفيق يا حريّة في مسيرتك الشاقة...
- شكرا يا أستاذي...
- خرج مشهور من قاعة المحكمة لتُقبل والدة مظلومة فتحتضنها:
- في انتصارك اليوم رأيت ابتسامة ابنتي الحبيبة. هي تشكرك من عليائها.
- يجب أن نشكرها نحن. إنّ روحها طاهرة، وعلى الرغم من أنّني لا أسامحها على إنهاء حياتها، لأنّ في ذلك كسر لإرادة الخالق. فنحن لم نملك حقّ ولادة حياتنا فكيف نملك حقّ إنهائها؟ إلّا أنني أصلّي لأجلها حتّى تستكين روحها في جوار خالقها، فهي المنتصرة الوحيدة اليوم، لأنّها وبجرأتها ومن خلال الأدلّة التي قدّمتها، صارت ضحية أنقذت الكثيرات.

قد ذكرت في مرافعتي أنّها غدت جسر عبور نحو إحقاق الحقّ لكثيرات من المعنّفات لإنصاف قضاياهنّ.

- وفّقك الله وحماك يا حريّة، يا ابنتي. إنّك قدوة بين نساء الوطن، وأنت أملُ قلوبنا وعقولنا.
- يا سيدتي، ما أنجزت غير واجبي تجاه ابنتك وتجاه الحقّ الذي أؤمن به وأحيا من أجله. الرحمة لروح ابنتك. تعازيَّ الحارة بفقدانك فلذة كبدك، وتذكّري دوما يا سيدتي أنّ الموت حقّ على الجميع ولن يتخلّف عن أحد ولو اعتقد أنّه قادر على التهرّب منه.
- لم تبلغي عمري بعد... غير أنّي أرى فيك امرأة فاقتني حكمة. هنيئا لأهلك بك، وهنيئا للوطن بأمثالك، فأنت تساهمين في إعلاء أساسات مجتمع سليم ومعافى.

شكرت حريّة والدة مظلومة وعائلتها، وشدّدت في كلامها على أنّها دأبت على تأدية واجبها، وشكرت الحضور الذي هنّأها على مناقبيّتها العالية التي وهبتها ثقة بالنفس مكنّتها من مواجهة مجرم متمرّس ودفاع متمكّن لتقنع هيئة المحكمة بإدعائها.

عادت حريّة إلى مكتبها يومها، وكان المهنئون عديدين. فكثيرون قاموا بزيارتها في مكتبها طوال أيام وكثُرَ المتصلون ممّن أبدوا اعتزازهم وافتخارهم بشجاعتها ومناقبيتها. وكنّ في الغالب نساءً، وقد شعرن أنهنّ قادرات على مواجهة الظلم والتعنيف الأسري. وبدأت تتوالى عليها التوكيلات...

اشتهرت حريّة واكتسبت سمعة عمّت أرجاء الوطن. واللافت أن من بين المهنئين ذاك الشخص الغامض الذي يرسل إليها الورود، فكانت لأسبوع كامل تستقبل كلّ يوم باقة جديدة منه وصار «الشبح» بين مساعديها وأهلها.

وجرت العادة في كلّ مرة أن يرفق مع كل باقة رسالة. فتارة يقول لها «**انتصارك كان مضمونًا بضمانة نصرتك للحقّ**». وطورًا «**أعلم أنك لا تخافين شيئا وأنت تلميذة شقيقك الطَموح لكنّني لن أسمح لأحد أن يخيفك أبدًا**». وأحيانًا أخرى يحاول أن يقرّب المسافات بينهما «**إنني أتطلّع إلى لقائنا القريب لكنّ الأمر لم**

يحن بعد. وحتّى ذاك الوقت إنّني معك وقربك حتّى لو لم تدركي وجودي».
وكثيرًا ما كانت تشعر أنّه يكشف لها مساحات قلبه: «**إنّني أراسلك لا لأزعجك أو أسرق منك وقتك الثمين لكنّني أهتم فعلا لأمرك وإلى أن يحين الموعد. إلى اللقاء».**

تلك كانت رسائل الشخص الغامض أو الشبح كما يحلو لحريّة أن تسمّيه، لكنّ ما لفتها هذه المرّة أنه أتى على ذكر شقيقها طَموح، وقد أصبحت متيّقنة أنه شخص عرفه أخوها. ومن المؤكّد أنّه يعرفها أيضًا. لكن هل ستعرفه وتكشف هويته؟ أو أنه سيبقى شبحًا متمسّكًا بهوية غموضه؟ أسئلة كثيرة كانت تخطر لبالها في كلّ مرّة تستقبل فيها تلك الباقات...

هل للحبّ قاعدة ثابتة؟ هل يمكن للإنسان كبح جموح المشاعر وتغيير مسارها؟ فكثيرًا ما يجد نفسه أمام حكاية عشقٍ قد تكون مستحيلة، أو غير ملائمة أو حتّى غير متوقّعة أو من طرف واحد... وهذا ما حصل مع شجاع يوم صحا على صراع الأفكار التي كانت تراوده ليل نهار.

هي الأفكار التي تقوده إلى تخيّل حريّة قربه، ومعه في كلّ لحظة. وشجاع كان أخًا لطموح وأمينًا على تركته الإنسانية التي كان يعدّها ثروة حياته. وما كان يومًا ليجرؤ على تصوّر حريّة حبيبته لا سيّما أنّه مؤتمن عليها مِن صديقه.

لكن بعد أن شبّت وأصبحت ناجحة ذات جمال فتّان، أنيقة، محترمة وسيدة أعمال، ما عاد شجاع قادرًا على لجم جموح إحساسه. ولم لا؟ فقد كان يرافقها في معظم أوقاتها حرصا منه عليها ويسأل نفسه دوما: «لماذا لا أتزوّج حريّة؟ وهي الفتاة التي تربّت أمام عينيّ، وأعرفها حقّ المعرفة، وأدرك رفعة أخلاقها، وصدق نواياها، وإنسانيتها وحسن تربيتها؟ لم لا أتزوج شقيقة الغالي طَموح؟ لم لا»؟

وكانت حريّة قد أنهت دراستها ومرحلة تدرّجها وأثبت نجاحها في عملها كمحامية، وافتتحت مكتبها الخاص ونجحت في أولى القضايا وأهمّها.

وكان شجاع يحسب أنّ فكرة التقرّب منها قد تأخّرت، لأنّه غالبًا ما سمعها تردّد أنّها لا تفكّر أبدا في الزواج قبل أن تنجح في مسعاها، وهي الراغبة في ألا تخيّب أمل شقيقها الراحل. فالأولية دائما لعلمها وعملها، وشجاع رافقها في تلك المراحل من حياتها ووقف دائمًا إلى جانبها صديقًا وسندًا.

كانت دائما تسأله المساعدة ومرافقتها في رحلاتها أو زياراتها البعيدة، حتّى أنّها أحيانًا تخبره تفاصيل حياتها، معتبرة إيّاه الأقرب إلى تفكيرها ويشبه أخاها نهجا وقولا ومبدأً.

وقربها من ابن عمها ومنحه ثقتها قد جعلاه يتقرّب منها ويفهمها ويعرفها جيّدا، وربما هذا ما أودى به إلى مشاعر صادقة تأجّجت نحوها، إلّا أنه لم يسمح لنفسه بالبوح كيلا يخون ثقتها أو يخيّب أملها.

لكنّ اللحظة الحاسمة حانت، وزار شجاع يومًا ابنة عمه في مكتبها، فلاحظت عليه تبدّلا كأنّه يحمل همومًا واضحة أو أنّ مسؤولية كبرى تثقل كاهله. فسألته:

- ما بالك يا ابن عمي الغالي، يا مَن ائتمنته على نفسي، ويا من خصّصته بثقتي الكاملة واحترامي وتقديري؟ إني أراك تكبح أفكارا تسجنها في صدرك فتتعب قلبك. أتخشى البوح بها؟ حدّثني. صارحني يا ابن عمي، فمَن أقرب مني إليك؟
- صدقت يا حريّة. صدقت، حين قلت إنّ هموما تنهشُ عقلي وتثقل كاهلي. وصدقت حين قلت إنّك الأقرب إليّ، وأفتخر وأعتزّ بأنّني الأقرب إليك.
- إذًا حدّثني عن همومك لعلّني أشاركك في بعضها فأخفّف عنك.
- هذا ما أردته.
- وماذا تريد؟
- أن تشاركيني.

- أشاركك؟لم أفهم قصدك يا شجاع. كفاك كلامًا بالألغاز وأطلق العنان لما في صدرك، وتحدّث بصدق.

- حريّة... إني لم أخن شقيقك طَموح يوما أو أذيته، وما كنت لأخونك أو أقبل أذيتك ولو على حساب حياتي الشخصية.

- ومَن قال إنّك قد تقدم على خيانتي أو أذيتي؟ إنّني أثق بك ثقة عمياء.

- إنني أعيش صراع أفكار عقيم. أنا لا أعرف النوم وضميري يحارب عقلي وعقلي يعاند قلبي وانا أحيا في تيه تام.

- يا شجاع كفاك نواحًا وتململا. أخبرني، ما بك؟ أرهقت عقلي!

- حريّة، ما رأيك بي؟

- أراك أطول قامة بقليل مما كنت عليه منذ سنة. واسترسلت ضاحكة.

- ما من داع للسخرية! سألتك قصد الحصول على إجابة واضحة.

- وما هذا السؤال يا ابن عمي؟ ربينا في منزل واحد ومجتمع واحد، إني أعتبرك ملاكا حارسا بعد شقيقي طَموح، فثقتي بك لا حدود لها وتسألني بكل بساطة: ما رأيي بك؟! غريب عجيب. أنت في هذه اللحظة شاب يتخبّط أمامي بأمواج أفكار يكبح جموحها ويتردّد ويخاف. قلت لك، وسأكرّر كلامي مجدّدا. تحدّث بصراحة. فما الذي يجول في خاطرك؟

وجثا الشاب على ركبته ومدّ يده صوبها كأنّه يستعيد صور فرسان الأحلام حين تشهَّوا لقاء الحبيبة:

- يا حريّة إنك لا تفارقين مخيلتي، أنا دائم التفكير بك، دائم القلق عليك... حريّة... إنّي أح..

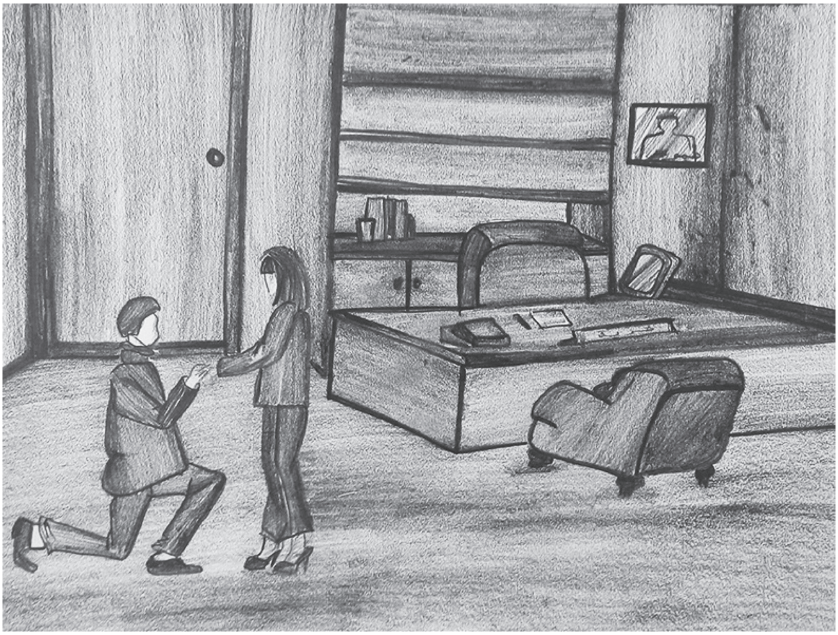

وسرعان ما قاطعته وأسرعت تطبق بيدها على شفتيه:

- توقف يا شجاع... توقّف... لا تكمل يا ابن عمي! عرفت مقصدك مذ رأيتك مرتبكا في حالك. أرجوك يا شجاع، أرجوك ألا تخطئ لتؤزّم موقفًا قد يبعدني عنك أو يرسم حدودًا بيننا لا أريدها. أنتَ عزيز عليّ، وتركة إنسانية من شقيقي طَموح تشعرني بالأمان.
- لكن يا حريّة...
- قلت لك لو سمحت توقّف. دعني أنهي كلامي. أرغب في استضاح أمر أستغربه، هل أنت صاحب باقات الورود تلك؟
- وعن أيّة باقات تتحدّثين؟
- ألست ذاك الشبح الذي يرسل إلى مكتبي ورودًا؟ وقد أرسلتها بعد فوزي

بقضية مظلومة.

- حريّة... صدقًا لا أعرف عمّا تتحدثين.

- حسنًا.. فلننسَ موضوع باقات الورود تلك. إسمع كلامي حرصا مني كيلا أفقدك أخًا عزيزًا.

- أسمعك يا حريّة. تكلّمي.

- يا شجاع يا ابن عمي، يا رفيق العمر... إنّ ما تفكر فيه مستحيل ولا يجوز، لأنّني قد ربيت على وجودك بيننا وفي منزلنا، وعرفتك أخًا مقرّبا، حتّى اتّخذت لنفسك مكانة عندي، وفي عائلتنا الصغيرة لا يمكن لأحد أن يسلبك إيّاها. إنّي أتفهم مشاعرك، ولكن سأصارحك بما في صدري.

قد تنظر إليّ كفتاة ناجحة تربّت أمامك، ومحبّتك الكبيرة لشقيقي طَموح قد تكون دافعًا أساسيًّا لما يجول في خاطرك. لكنّني لست عاتبة عليك بل شاكرة، لأنّك كنت صادقًا معي. والمشاعر الصادقة يثبّتها الزمن، يا ابن عمي الغالي، ولا يمكن تبديلها في حال من الأحوال.

نحن كمَن بنى برجًا على أساسات قوية متينة، وعندما شارف على رسم صورته الأخيرة قرّر التغيير الجذريّ في تكوينه. فكيف له أن يغيّر ما بنى إن لم يهدم الأساس؟ بالتالي، عليه هدم ما بنى وصنع. فهل أنت قادر على هدم برج علاقتنا الصادقة المشيّدة على أسس الأخوة، في محاولة بناء برجٍ أساسه عواطف في غير وجهها؟

لا يا ابن عمي، لا! هذا لا يجوز.

إنّي ولّيتك على عرش الأخوّة ملِكًا، فلا تتخلَّ عنه لتتبوّأ عرشًا من أوهام. الأخوة لا تتبدّل، والواقع لا تشتريه الأحلام، والفكر لا يستقيم بالأوهام.

إنّك شاب مثقّف وناجح، وفتيات أُخرُ يتمنّين مرافقتك في مشوارك. كثيرات

يتمنّين أن يكنّ حبيبات لكنّي لن أكون مثلهنّ. لست لأنني أفضل منهنّ إنما لأنّك أشدّ المقرّبين إليّ وأنت أخ لم تلده أمي، لكن ولده لي الزمان وأورثني إياه شقيقي الغالي.

وكان شجاع يستمع إلى حريّة بانتباه وتمعّن، وقد بدأ التأثر يلوّن قسمات وجهه، كأنّه يخجل من نفسه ويعاتب ذاته لأنّه أخطأ في الكلام...

- يا حريّة، أعجز عن النطق. وكأنّك كممت لي فمي، وكبّلت أفكاري بأغلال كلامك.
- ما أردتك أن تتكلّم أو تبادر إلى الردّ. سأكتفي بتفهمّك موقفي، أريدك أن تنسى هذا الحوار، لأنّني لا أرغب في تخيّلك إلا أخًا أتّكل عليه وأحترمه وأثق به. أرجوك يا شجاع، أرجوك أن تبقى كما عهدتك، وأن تطرد أيّة فكرة تطيحك عن عرش الأخوة.
- حريّة إنّي أعتذر أشدّ اعتذار. لا أعرف ما الذي أصابني، لكنّني كنت أشعر بهمّ كبير يثقل كاهلي. وأعدك بألا يتكرّر هذا الحوار مجدّدًا. لن أبدّل عرش أخوتي بأيّ عرش آخر، فثقتك بي كنز كنوزي، ولن أخذل أخي طَموح بخسارة شقيقته الغالية. أكرّر اعتذاري وأرجوك أن تسامحيني.

وهمّ بالرحيل لكنّها أوقفته، واقتربت منه.

- يا شجاع أنت فعلا رجل شهم، واعترافك بمشاعرك رغم خطر خسارتك لي لهو أكبر دليل على أخلاقك السامية.

ابن عمي، يا صديقي، ويا أخي. إنّني أحترمك جدّا، وستبقى دومًا السند الذي أتّكل عليه وأطلب دعمه واهتمامه. ففي هذا الزمن الرديء، قلّ أن يجد الإنسان منّا شخصًا يتجسّد الصدق في شخصه وقد أهداك القدر أختا صادقة فلا تفرّط بها وإلا فقدت طيف الحنان. ولو شعرت بقسوة ذاك الطيف عليك، فلا تشكّ أبدا في اهتمامه بك، لأن المؤتمن الصادق يجب ألّا يتوه عن درب الحقّ.

- أنت أخت وهبني القدر إيّاها ولن أخسرها أبدًا. الآن أعذريني عليّ الرحيل.

- بالتوفيق يا ابن عمي، بالتوفيق يا أخي.

غادر شجاع مكتب حريّة وهو مرتاح الضمير والفكر لأنه تحدّث بصدق وصراحة ودرأ عنه مشاعر ما كانت لتسكن قلبه ووعيه. وشعر أنه ترك همًّا كبيرا خلفه ليستطيع العيش بسلام، فقد كان حوارا تواصلت فيه القلوب متراقصة على جسر العقول، وهذا ما يحصل حين يتعانق الصدق والوفاء تحت مظلة الأخلاق.

كانت حريّة تراجع بعض الملفات في مكتبها الخاص حين رنّ هاتف المكتب لتعلمها موظفة الإستقبال عن قدوم زائر اسمه «خطير» يريد مقابلتها، بغية تكليفها بقضيّة مهمة. فطلبت من الموظفة أن تدخله. لاحظت حريّة علامات الثراء على ضيفها منذ دخوله، فقد سبقته رائحة سيجاره الثمين، وقد وصل ومعه فرقة حماية من مرافقين وفتاة جميلة جدًا لا يتخطّى عمرها العشرين، صغيرة لتكون زوجته، وحتمًا ليست ابنته لأنه يحضنها بيديه الكبيرتين كلعبة يمتلكها ويعشق كلّ تفصيلٍ فيها. فعرّف الرجل بنفسه، وبادرته حريّة بالترحيب سائلةً إيّاه عن سبب الزيارة. فقال:

- حضرة المحامية حريّة أتيت لأعهد لك بقضيتي. وأنا مستعدٌ لدفع التكاليف. فما هو سعرك؟
- أولًا يا سيّد، فلتعلم أنّ للمحامين أجرًا لا سعرًا. فالمحامي ليس تاجرًا يبيع بضائع أو سلعًا تُرمى بعد الاستخدام، إنما المحاماة وظيفة تقيّم بالأجر، مقابل جهود وخبرة وعلم ومعرفة استثنائية. ثانيًا والأهمّ، كيف تسألني عن التكاليف قبل أن تطلعني على ملف القضيّة، فلربما رفضتها!

تفاجأ خطير بكلام تلك المحامية التي سمع عنها الكثير. وشعر بأنّه محرج لأنه تعوّد إخافة من أمامه وترهيبه. وهي المرة الأولى التي يقابل شابة مفعمة بالهدوء والثقة بالنفس والمعرفة، لهذا اتّخذ لنفسه موقف الحذر. وتابعت حريّة بكل جرأة:

- أعذرني، ما قصدت من توضيحي هذا إلا أن نبدأ حوارنا متفاهمين حتّى أساعدك على تكوين فكرة في حال تبنّيت قضيّتك.
- إنّ ما قلته للتو ليس إلا دليلا واضحًا على أداء مهنيّ عالٍ، وجرأة صادقة وصريحة في الطرح. وأنا مقتنع بشكل تامّ بوجوب تكليفك حلّ قضيّتي، وأعلم أنك تدرجّت في أحد أهم مكاتب المحاماة في الوطن، فأنت قد ولدت لتكوني محامية.

وتأكّدي بأنّني ما كنت لآتي إليك لولا اقتناعي التام بجرأتك، ووسع ثقافتك، وإهتمامك بقضايا الناس ونصرة المظلومين لا سيّما بعد نجاحك وانتصارك المدويين في قضية تلك المرأة، تلك الساذجة المنتحرة...

- أرجو منك أن تكون ذا كلام راقٍ، فتلك المرأة التي تحدّثت عنها امرأة انتقلت من عالمنا الفاني، وبالتالي لا يجوز الكلام عنها باستهزاء وسطحية، فهي ترقد في جنان خالقها، لذا تستحقّ كلّ احترام وتقدير منك. قد أُجبرت على الانتحار ولم يُترَك لها سبيل أو خيار. بالتالي لا يمكنك، ولن أسمح لك، مع فائق احترامي، أن تهين وتتهم وتجرّح بها.

وبان الانزعاج جليًا على وجه حريّة من فظاظة ذاك الثري المتغطرس.

- أعتذر! ما قصدت إهانتها قطّ...
- لا يهم الآن. أخبرني. أقمت بجمع معلومات كثيرة عنيّ؟
- طبعًا! وهل تعتقدين أنني قد أوكل محاميًا من أجل قضيتي وأنا لا أعرف عنه شيئا.
- وما هي القضية التي أتيت من أجلها؟
- قضيّتي هي قضيّة حريّة. حريّتي التي يريد بعض الجبناء والكاذبين سلبي إياها. فهنالك مَن يريد تشويه صورتي أمام الناس.
- وما نوع العمل الذي تقوم به؟
- أنا رجل أعمال.
- وما نوع الأعمال التي تديرها؟
- أعمالي كثيرة ومتنوّعة. أنا أملك أكبر شركة إستيراد وتصدير من الوطن وإلى خارجه. وأملك أيضًا أضخم شركة في البلد لتجارة المواد الغذائية والأسمدة على أنواعها.

- وما تهمتك إذًا؟
- يتّهمونني بتجارة الممنوعات والحبوب المخدّرة، ويدعّون أنها مصدر ثروتي.
- ومَن يتّهمك؟ وعلى أيّ أساس بنى دعائم إتهامه؟
- بعض أعداء الكار، ومن دون أيّة قرينة. فقط كي يتخلّصوا مني كمنافسٍ قوي فيضربوا بذلك اسمي وسمعتي في السوق.
- إذا، وكيف بُلِّغْت بالقضية؟ ولماذا لم يتمّ القبض عليك؟
- منذ أيّام قليلة حجزت شرطة الجمارك سفينة خاصة بي، مدّعية أنها تحمل شحنة من الحبوب المخدرة، لكنني استطعت أن أثبت أنها ليست ملكي وأنها حُمّلت على قاربي بالتواطئ مع أحد المراقبين من الموظفين، فصرفت الموظف والمدير وعينت آخرين.

وقبل يومين اعتُقلت شابة في المطار وهي تحاول تهريب حفنة من المخدرات القيّمة تلك التي يقال عنها «باب أول» في ثيابها الداخلية، فألقي القبض عليها. وهي تدّعي أنها تسلّمت البضاعة من مدير أعمالي ومسؤول حساباتي، وبالتالي تحرّكت النيابة العامة وفق شهادة تلك المرأة وقبضت على مساعدي الأول، وأعتقد أنّني سأستدعى للشهادة قريبا. لهذا أريدك أن تكوني حاضرة.

- كيف علمت أنّ تلك المخدرات قيّمة أو صنفها «باب أوّل»؟
- إنّني ... إنّني... وما شأنك كيف علمت؟ لي مصادري الخاصة.
- إذًا إذهب إلى مصادرك الخاصة، وادفع لهم مالك وليترافعوا عنك. شكرا لك وقد كان لي شرف لقائك فعلا...
- لكن لماذا تتصرفين معي بهذا الاستعلاء ؟
- لأنك لا تتقن أصول الكلام. فحساباتك ثقيلة وحياتك متخبطة بين الاستعراض والاستعلاء والتعجرف والتهكّم، وهذا ما أعمى بصيرتك. فإذا

كنت تريدني أن أكون موكلتك فعلا، عليك أن تكون صادقًا معي. وإلا فكيف حينئذ سأترافع وأدافع عنك في ما قد يقترفونه في حقّك؟

- حسنا، حسنا... إسألي ما تشائين. لكن قبلا اسمحي لي أن أصرف شقرائيَ والمرافقين أيضًا. أتركونا وحدنا.

- يزعجني أسلوب كلامك وأمتعض من تعاطيك مع الآخرين، فأن تكون رجلا ذا قدرة ومال وأعمال وثروات، هذا لا يعطيك الحقّ البتة أن تُحقّر الآخرين، حتّى ولو كانوا موظّفين عندك. فالإنسانية تفوق كلّ منصب أو مركز أو ثروة. وأنت تصف شابة ترافقك بـ«شقرائي» وكأنّك تتحدّث عن سيجارك أو أيّة سلعة سخيفة تمتلكها.

أرجوك، وبكل احترام، ألا تستعمل هذا الأسلوب أو تفكّر فيه هنا، فهذه تصرفات مرفوضة ولا نحبّذ سماعها.

- قصدتك لتكوني موكلتي لا لتكوني مربّيتي ومرشدتي! وازداد كلامه تعجرفًا.

- لست مؤهلا لتُعطى النصائح بعد كل هذا العمر والتجارب التي مررت بها، فقد صقلت ذاتك مع الأيام ووسمت شخصك بطبعك. وما هو مؤكّد أنّك غير قادر على تغيير تصرّفك.

فلنعد إذًا إلى القضية. كيف عرفت نوعية تلك المخدرات؟

- إنّ لي بعض معارفي في قسم الشرطة.

- إذا أنت تخبرني وبصراحة، أنك ترشو بعض رجالات القانون.

- فلنسمّها: تقاطع مصالح.

- من الواضح أنّ لك قراءةً خاصة للقانون. وما دمت واثقا أن لا علاقة لك بتلك المخدرات، وأنك لا تعرف تلك المرأة، فلماذا تخشى الاستدعاء؟ عليك الذهاب إلى مركز الشرطة والإدلاء بشهادتك لتنتهي مشكلتك.

- مشكلتي أنّني لست واثقا من أنّهم سيصدقونني.
- هل يملكون دليلًا أو قرينة؟
- حتّى الآن استدعوني للتحقيق غدًا ولا أريد أن أذهب من دون محاميتي. هم يقولون إنّ عليهم الاستماع إلى شهادتي بعد أن ألقوا القبض على مساعدي ومدير اعمالي.
- أيعقل أن يكون مساعدك متورّطًا في تهريب تلك المواد، أو على علاقة بتلك المرأة؟
- لا أعتقد، لأنه لا يتجرّأ أن ينجز أمرًا من دون علمي. إذا يا سيّد خطير يجب أن ننتظر شهادتك في مركز الشرطة لنعرف إلى ما ستؤول إليه الأمور بعدها. وإذا قاموا بحجزك أو حصلوا على إشارة من النيابة العامة لتوقيفك، فعندها فقط يمكنك توكيلي كمحامية دفاع تترافع عنك في المحكمة.
- ما العمل الآن؟ هل أعتبر أنك قبلت توكيلي لك كمحامية خاصة؟
- لا داعي لاستعمال صفة الخصوصية. إنّ عملي كمحامية يحتّم عليّ الدفاع عن الناس من دون تمييز أو تفرقة. أما في حالتك فلم أصبح موكلتك بعد، عليك أن تذهب لتدلي بشهادتك وعلى ضوء ما سيحدث معك، سأتمعّن في ملفّ قضيتك، وأقرّر بعدها سواء أأقبل أم أرفض.
- اذا سأهاتفك قريبا وكلّي أمل أن تقبلي.

وقف وهمّ بالمغادرة لتقف حريّة احترامًا للضيف في مكان عملها. وعندما وصل إلى الباب ليفتحه ويغادر، أوقفته حريّة قائلةً: سيّد خطير. أنت مذنب! فالتفت مسرعا وقال: لكنّني ما اعترفت بشيء، فكيف أكون مذنبًا؟ عندها تنبّه أنّه تسرّع في إجابته فقالت له حريّة بفطنتها المعهودة:

- أنت مذنب في حق تلك الفتاة! فمن المبكر جدًّا أن تعترف بشيء. أريد أن أقول لك أمرا، قد تصادف في حياتك شابات قسا عليهن القدر

لتكتب لهنّ حياة اجتماعية أو اقتصادية صعبة، فيجبرن أنفسهن على عيش حياة لا يبغينَها ولا يختبرْنَ فيها أيَّ فرح.

- وما قصدك من كلامك هذا!؟

- لو أن ابنتك أو أختك الصغيرة التي تختبئ تحت جناحيك وفي ظلّ رعايتك، أتاها رجل يفوق عمرها أضعافًا ويملك الكثير من المال وأراد أن يملكها. ماذا تفعل؟

- أقتله! وجحظت عيناه غضبًا ..

- لحسن حظك أن تلك الفتاة التي ترافقك لا أخ لها ولا أب يحميها. فإذا سلّمنا جدلا بقناعتك لكنت في عداد الأموات اليوم. لذا عدْ إلى إنسانيتك، وأعتق «لعبتك» الصغيرة تلك، ولا تمتلكها مقابل مال، فالبشر لا يشترَون، ومتى اشتريت نفسًا، سرقت منها الفرح الحقيقي، لتصبح كما الآلة لا إحساس فيها ولا حياة. والآن يمكنك المغادرة يا سيدي، أتمنّى لك التوفيق غدا في مركز الشرطة.

إغتاظ خطير غضبا، ورحل من دون أية كلمة وداع. رحل وهو يعلم أن حريّة قد أحرجته وأصابته بسهام تقليل الشأن.

جلست حريّة تفكّر في قاصدها الجديد. جلست تحلّل مقابلته وألفاظ كلامه وأسلوب حياته. فوجدت أنّه شخص لا يمكن الوثوق به. فمَن فقد احترامه للآخرين فقد احترامه لذاته، ومَن عاش متعجرفًا مات مسمِّمًا فكره وعقله بسمّ كبريائه، ليخسر المقرّبين قبل الغرباء.

وأدركت أن خطير يتعامل مع الآخرين بظاهر الأمور وقشور الحياة، فإنّ اهتمامه بمظهره وحمله سيجاره واستعراضه بمرافقيه والشابة المتألقة جمالًا لأفعالٌ مشينة لا تقلّ خطورة عن مخالفة القوانين. فهؤلاء فقدوا بوصلة الاتجاهات نحو الخيارات الصحيحة بفقداهم ميزان القيم والمبادئ والثوابت الإنسانية.

أيقنت حريّة أن خطير ومَن شابهه من الناس لا يمكن الوثوق بهم، هؤلاء كلّهم يحملون صفاتٍ انتهازية ويعمدون للمراوغة دوما. حتّى أنّها ليست واثقة من براءته، لارتباكه وتشابك أقواله، ولصفات بانت في شخصيته. لكنّها أرادت أن تجد سببًا مقنعًا لترفض قضيته، وتتأكّد من تورّطه، فهي لم تتقبل أفعاله وأقواله أو تصرفاته.

ذهب خطير في اليوم التالي إلى مركز الشرطة ليدلي بشهادته، ليتفاجأ بأنّ مساعده قد اعترف بجرمه، وادّعى أنه كان مكلّفا منه، وأنّ تلك المرأة تعمل معهم منذ فترة، وتلك ليست أولى مهمّاتها، إلا أنها كانت الأولى من نوعها خارج حدود الوطن. وبذلك ألقي القبض على خطير وأُودع الحجز بإشارة من القاضي، لتحدّد له جلسة محاكمة بعد أسبوع من يوم احتجازه.

في هذا الوقت أجرى خطير اتّصالاته على صعيد معارفه السياسيين ورجال الأعمال وأصحاب النفوذ. فتبرّأ منه الجميع، وكأنّ اتفاقًا ضمنيًّا بينهم يقضي بالتخلّص منه. فما كان من خطير إلا أن اتّصل بحريّة ليعلمها ما جرى معه، وطلب منها أن تكون محاميته، فهو يثق بها، وبمناقبيتها وفطنتها وكفاءتها العالية. فوعدته بالحضور إلى مركز الشرطة من أجل أن تتطلع على نصّ المحضر وتفهم تفاصيل القضية، لتتمكّن من اتّخاذ قرارها، إمّا قبول القضية وإمّا رفضها.

في اليوم التالي وقبل ذهابها إلى المركز، مرّت حريّة بمكتبها لتوقّع بعض الأوراق وتسيّر أعمال زملائها، فتفاجأت بباقة ورد، عرفت أنّ شبح الورود الغامض أرسلها. فأقبلت على الباقة باحثةً عن رسالة تختبئ بين أوراقها فرأت ظرفا وليس رسالة، ظرفا مختومًا بالشمع الأحمر كتب عليه «**من أجلك يا حريّة**».

فتحت الظرف بسرعة لتتفاجأ بمحتواه...

إنّها صور خطير مع مساعده برفقة المرأة التي ألقي عليها القبض في المطار،

وقد كتب اسم كلّ شخصية فيها وقد التقطت في أيام متفاوتة وأمكنة مختلفة. بالإضافة إلى ملفات تدينه بالسرقة والفساد ورسالة كتب فيها: «**إنّ خطير فاسد كبير حمل من اسمه لا فعلا واحدا بل أفعالا. وهذه الصور لك يا حريّة، تصرفي بها... هدّديه، أو إبتزيه... خذي منه ما أردتِ من مال**».

عندها جلست حريّة خلف مكتبها لتتريّث في تحليلها وحكمها، فأدركت أمرين غريبين: أولا إنّ مرسل الباقات يتمتّع بنفوذ قوي وسلطة لا يُستهان بهما. ثانيًا، والأهم أنّها صارت متأكّدة من أن ذاك الشبح يراقبها، ويراقب قضاياها وربما مكتبها.

فكيف عرف تفاصيل قضية مظلومة؟ وها هو الآن يرسل أدلة تُدين خطير، ومن المتوقّع أن الشرطة لم تحصل عليها بعد، فهو لم يعترف حتّى هذه اللحظة.

كانت حريّة قد بدأت تشعر بانزعاج من شبح الورود لاسيّما حين ذكر في رسالته الأخيرة التهديد والإبتزاز والضغط، وهذه أساليب لا تليق بها أو بأخلاقها أو حتّى تربيتها. وقد أصبحت تتمنّى لقاء ذاك الشبح من أجل تأنيبه وتأديبه على ظنونه السيئة وتقديراته الدونية لأخلاقها ومبادئها.

إلا أنها لم ترد أن تتخلّى عن قضية خطير بكل بساطة، على الرغم من يقينها أنّها لن تستلم قضيّته أو تدافع عنه، لكنّها أرادت لقاءه لتعلمه رفضها مباشرة لأنّها ما تعودت الفرار قطّ. بالإضافة إلى أنها قد تستفيد من لقائه لعلّها تتعرّف، بطريقة أو بأخرى، هُويةَ شبح باقات الورد.

غادرت حريّة متوجهة الى مركز الشرطة وجلست مع مسؤول المركز حيث يُحتجز خطير في انتظار مثوله أمام المحكمة. وطلبت مقابلته.

أُحْضِر من زنزانته ليلتقي حريّة وعلامات الانهزام والانكسار بادية عليه... فجلس المسؤول معهما في غرفة الإستجواب.

- أشكر قدومك، الجميع تخلّى عنّي إلا أنّك قررت المجيء لتدافعي عنّي.

- قبل كلّ شيء، أخبرني هل زارك أحد في حجزك؟ هل تحدّثت إلى أحد عبر الهاتف؟

- أجريت إتّصالات عادية ببعض معارفي.

- أطلعني على أسماء تلك الشخصيات.

- إنّهم كثر، ولكن لماذا تسألين يا حضرة المحامية؟

- تأكّد من أنني أسأل لأمر فيه مصلحتك.

- لا يمكنني أن أتذكّر الجميع. ولا يمكنني أن أفصح لك عن علاقاتي بأصحاب السلطة والنفوذ؛ فتلك أمور تبقى خاصة، وليست للكشف.

- إذا أطلب من أصدقائك وأصحاب النفوذ أن ينقذوك. فأنا أعتذر ولا أقبل الدفاع عنك. أرجو أن يدون كلامي هذا في تقرير الشرطة.

- لكن كيف؟ لماذا يا أستاذة حريّة؟ قد كنت وعدتني باستلام ملفّ قضيتي.

- ما وعدتك قط. قلت لك على ضوء المستجدات سأقرّر، وإنّ أمورا عرفتها في الصباح دفعتني حتّى أتأكّد من اتّخاذ هذا الخيار.

- إذًا لن تقبلي قضية السيد خطير يا أستاذة؟ سأل مسؤول المركز.

- صدقت. فقد أتيت لأخبره بقراري مباشرة، وسأسلّمه أمانة وليفعل بها ما يشاء. وطلبت من المسؤول الخروج ليتسنّى لها الانفراد بخطير فخرج وردّ الباب خلفه.

- قال خطير: وما هي تلك الأمانة؟

- قبل الحديث عنها، دعني أوضح لك سبب تمنّعي في الترافع عنك وتبنّي قضيتك، حتّى أكون مرتاحة الضمير والفكر، ولعلك تتّعظ فتصير عبرة لكلّ مّن لا يؤمن بسيادة القوانين والمبادئ العامة والثوابت الوطنية والإنسانية.

لم يكن تمنّعي لأسباب مادية أو سياسية أو ضغوط اجتماعية أو غيرها، غير أنني أخشى أن أساهم في الصفح عنك، أو تخفيف حكمك أو أن أنجيك من العقاب.

- كم تريدين من المال يا حضرة المحامية؟ يمكنني منحك نصف ثروتي لو وددت.
- هنا يكمن جوهر المشكلة في ما بيننا. إنّك تقيّم الناس من منظور مادّي نفعيّ... في حين أن الناس لا تتشابه في الأساس، ولا يمكن مقارنة الجميع بالمكيال ذاته، كما أن الإنسانية والواجبات الوطنية لا يمكن البتّة بيعها أو شراؤها إنّما هي ثوابت وقناعات تبني شخصية الإنسان وكيانه.

فأنا واثقة أنّه بأموالك يمكنك توكيل أهم المحامين للدفاع عنك. إلّا أنّني مقتنعة أنّ على المحامي مسؤولية تجاه المجتمع، فنجاحه ليس في تخفيف الجرم عن المجرم مقابل حفنة من المال، إنّما عليه تبنّي القضايا المحقّة، التي يساعد فيها المظلومين، حتّى تكون عبرة للمجتمع وأفراده.

إنّي آسفة فقد علمت بتورّطك. أنت داء يؤذي مجتمعي ووطني. فإن كنت غير مقتنعة ببراءتك فحتمًا لن أستطيع إقناع هيئة المحكمة. لا لضعف مني أو هشاشة في خبرتي أو خوفا من خسارة قضيتي، لكنّني لن أترافع عن نماذج تدمّر مجتمعي ثقافيًّا واجتماعيًّا وإنسانيًّا... فأحيانا يأتي العقاب لمن لم يهتدِ في درب الهدى.

أكرّر اعتذاري لرفضي قضيتك، وإليك ظرفًا مختومًا وصل إلى مكتبي صباحا. من واجبي أن أسلّمه إلى السلطات المعنيّة لعلّه يكون قرينة تدينك، لكن وبما أنّ تلك القرينة لست الوحيدة في امتلاكها، وقد وصلتني لمآرب غير سوية فسأرفض استعمالها. فكما أدركت طريقها إليّ، لا بدّ أن تعرف طريقها إلى الجهات المسؤولة عن إدانتك، فما أرسلت إلّا لتدمير شخصك واسمك ومكانتك وأعمالك كلّها...

عليك أن تعيد حساباتك في علاقاتك التي أسميتها نفوذًا حتّى تدرك أن الثقة لا تُعطى إلا لأصحاب المبادئ والقيم، وان الإلتزام لا يجب أن يكون إلا

بالوطن والإنسان والقوانين، لا بمادية الكون وفنائه بما حمل.

وقفت حريّة ونظرت إلى خطير نظرة شفقة كأنّها تذكره بالأمس القريب حين زارها متعجرفًا، مطلقا دخان جبروته بحديثه الاستعلائي، تاركة إيّاه ليفتح الظرف ويكتشف مكنوناته بعد أن لاقت المسؤول خارجًا حتّى يتسنّى لخطير إتلاف دليل إدانته بيديه.

رحلت وما عادت لتفكر في خطير وقضيته، آملة أن يقرّر القضاء العقاب الملائم... لكنها كانت تفكّر في أمر واحد فقط، شبح الورود. ذاك الرجل لا بدّ أنه رجل سلطة وقد أذاها في الرسالة الأخيرة، وأرادت أن تواجهه بخطئه، وأن تدفعه ليعتذر على سوء ظنه بها. لكن كيف؟ كيف ستعرفه أو تتعرّف إليه؟ هل سيأتي إليها بنفسه؟ هل سيزورها في مكتبها؟ هل سيتوقّف عن إرسال باقات الورود تلك؟ ما هي غايته ونواياه؟ أسئلة كثيرة وعديدة لا تفارق عقلها، في صحوها ومنامها، في وعيها وهواجس لا وعيها.

إنّه أمر يربكها، وفي نهاية المطاف أسلمت ذاتها للقدر لعلّه ينصفها فيطرد شكوك وجود ذاك الشبح ويفضح هويته.

مضت أشهر على قضية خطير، وكانت حريّة منهمكة بقضايا عديدة استلمتها ونشاطات اجتماعية ومدنية كثيرة حالت دون زيارتها أهلها في القرية. فابتعدت قسرًا عن أقارب وأحباء تجد بينهم ومعهم سلاما داخليًّا لا يتوافر في أيّ زمان أو مكان. هي بعيدة عن بيئة تربّت وتغذّت منها روحا ووعيا ومبادئ صنعت شخصيتها. فقرّرت الذهاب في عطلة قصيرة لتجدّد من خلالها نشاطها وتعيد الحيوية إلى حياتها العملية والاجتماعية.

وصلت حريّة إلى قريتها بعد انقطاع مضنٍ، فأمضت يوما كاملا في منزلها

الدافئ المثقل بالذكريات برفقة عائلتها مع والديها «قاسي» و»حنونة»، وبحضور شقيقها الأكبر «متعصّب». أمّا شقيقها «جبان» فكان قد حقّق حلمه وغادر أرض الوطن في هجرة طويلة باحثا عن النجاح والمال، وشقيقها الآخر «تبعي» دائم الغياب عن المنزل، غارق في التزاماته الشخصية والعملية. أما بالنسبة إلى الجدّين فقد فارقا الحياة بعد ثلاث سنوات من رحيل طَموح.

خلال أيّام قليلة أدّت حريّة واجباتها الإجتماعية بشكل تام، وقامت بزيارة الأقارب وزملاء الدراسة وأصدقاء الطفولة. وذات يوم، دخلت والدة حريّة إلى غرفتها لتعلمها بقدوم ضيف حضر للسؤال عنها، وكانت الابتسامة مرسومة على وجهها، فسألتها:

- ما أجمل إشراقة وجهك حين يزور الفرح فؤادك! أخبريني يا أمي ما الذي يُلهب صدرك سعادة حتّى أشاركك الفرحة؟
- يا ابنتي، قد كبرت. كبرتِ لتصبحي محامية على مساحة الوطن. كبرت لنفتخر بك، وتفخر بك قريتك وكلّ مَن عرفك، وبالطبع إنّ الغالي ومن عليائه فخور بك يا حريّة. وأدمعت عيناها..
- لكن.. يا أمّاه... يا مثال الفضل والفضيلة، لماذا تدمعين؟
- إنها دموع الفرح يا ابنتي. هذه دموع الفرح. فالجميع يتحدّث عنك، عن المحامية الشجاعة والبطلة التي نجحت في أصعب القضايا.

إسمعي ها هو ابن قريتنا المسؤول «متعالي» قد حضر اليوم إلينا، ليعطّر صباحنا بأخبارك التي تلهب الصدر غبطةً، ويخبرنا عن سمعتك المشرّفة التي تجعلنا فخورين بك. فوالدك يهلّل فرحا بك، فأنت وحيدته التي أعادت إليه الأمل بعد غياب طَموح.

- أقلت متعالي؟ أهو في دارنا؟

- نعم يا ابنتي. أمسِ وصل من المدينة وعلم بوجودك، فقرّر زيارتك وتهنئتك وإلقاء التحية علينا جميعا. وقد أحضر باقة ورد معه.

- باقة ورد، ولِمَ يُحضرها؟ إنّني ما التقيته منذ زمن، وما من مناسبة تقتضي هدية منه!

- عليك الخروج للقائه يا ابنتي. ما انفكّ يسأل عنك.

- بالطبع. إسبقيني. إنّي قادمة بعد قليل.

خرجت تاركة ابنتها تحادث نفسها، وتسأل مرآتها: لماذا يزورنا متعالي؟ لماذا يسأل عنّي أنا شخصيًّا؟ لماذا أحضر باقة ورود من دون سبب أو مناسبة؟ ما غايته من الزيارة؟

كان متعالي يخبر والديها عن نشاطاتها وسمعتها في العاصمة، كمحامية ناجحة ومحترفة، والأهمّ أنّها ذات سمعة مشرّفة، تحمل راية المواطنة ونصرة الحقّ من أجل الوطن والإنسانية دوما في قضاياها.

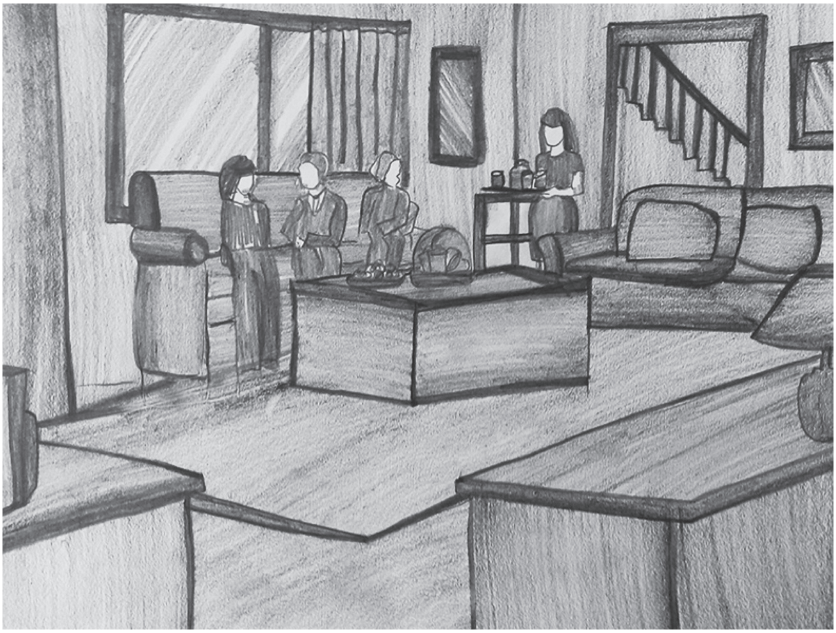

وعند رؤيته لها، وقف مقدمّا باقة الورود التي وضعها قربه، وسلّم عليها بكل احترام قائلا:

- إنّ لقائي بك في ربوع بلدتنا وفي منزلكم العائلي شرف عظيم.
- أهلا بك سيد متعالي. أشكر لطفك وذوقك الرفيع.
- إن الورود تخجل من جمالك وهي بين يديك.
- أقدّر لطفك فما من داعٍ لتكلّف نفسك عناء شراء هذه الباقة. لكن ما سبب إحضارها؟
- إنّ مَن أدركت النجاح عن عمر صغير، وصنعت لنفسها مقامًا رفيعًا واسمًا مرموقًا، وفق مسارٍ صائب وسليم، فلا بدّ من تكريمها ولو كانت بهدية

متواضعة. يمكنك اعتبارها تهنئة لأدائك في قضيتي مظلومة وخطير وهذا ما جعلك محامية من الطراز الرفيع.

- خطير لم أقبل وكالته وقد تنحّيت عن قضيته.
- أعلم يا حريّة، وخيارك الصائب الذي استغربته في بادئ الأمر هو الدافع الأساس لزيارتي لك اليوم.
- تعلم! ماذا تعلم؟
- أعلم كلّ شيء، كيف رفضت وسبب رفضك قضيته. وأعلم أنّك واجهته في حجزه قبل محاكمته، وأنّبته أيضا. لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا وبعيدًا عن خطير وجميع قضاياك، هل تقبلين عادة باقة ورود من دون التأكّد من ضمّها رسالة أو ظرفًا؟

صدمت حريّة من استفهامه الغريب، وتمنّت ألا تكون محقّة في هواجسها. وقبل أن تنظر إلى داخل الباقة، تملّكها الجمود وسرت رعشة باردة في جسدها، وسألت نفسها: كيف يعرف تفاصيل قضية خطير؟ كيف يعلم كلّ شيء عني وعن أدائي ولقائي موكلي؟ لماذا يريدني أن أبحث عن رسالة في باقة أحضرها؟ أيعقل أن يكون متعالي.... هو ... شبح باقات الورود؟! وكان والداها ينظران إليهما متعجبين ممّا يجري.

نظرت فوجدت ظرفا صغيرا، أخذته ووضعت الباقة جانبا وقبل أن تفتحه نظرت إلى متعالي فرأته مبتسما ابتسامة الواثق. بدأت أناملها ترتجف، وصارت أفكارها تتخبط، فحاولت ضبط اعصابها كيلا ترتبك أو تظهر متوترة. فتحت الظرف فقرأت الرسالة:

«إنّي عرفتك قبل أن تكبري، فكبرت من دون أن تعرفيني. سمعت عنك.. سألت عنك... اهتممت بك من بعيد. حاولت أن أعرفك من جديد. فلم أعرفك... أين ذهبت تلك الطفلة؟ أين رحلت تلك الصغيرة ومتى؟

متى حلّت مكانها المحامية الجريئة، الناجحة والقوية؟

في بادئ الأمر شعرت بالريبة إلى أن خطرت لي فكرة إرسال الرسائل مع باقات الورود، وكنت أحيا لأكون حريصًا على سلامتك. إنّني حقًّا أهتم لأمرك يا حريّة».

وقفت تتأمل المجتمعين مدهوشة. كيف يتجرّأ هذا الرجل ويأتي إلى المنزل ليعترف بهذه الطريقة بأنّه الشبح، مرسل باقات الورود؟ لكنّها ما لبثت أن عادت إلى رشدها، واستعادت تركيزها وقالت بصوت يتملكه الغضب.

- قد أخطأت وواجب عليك أن تعتذر منّي وأمام والدي اللذين ساهما في تربيتي أفضل تربية.
- لم عليه الاعتذار يا ابنتي، فما الذي فعله؟
- والدي العزيز، هو يعلم جيّدا عمّا أتحدث. أريده أن يعتذر على سوء ظنه بي وسوء تقديره لتربيتي ومبادئي والقيم التي نشأت عليها.
- إنّ ما دفعني إلى القدوم اليوم هو رغبتي في أن أصارحهما وأصارحك بصدق احترامي لكم ولمنزلكم. فردة فعلك، في قضية خطير التي تنازلت عنها، أثبتت أنك امرأة قدوة يجب تقديرها وحمايتها وصونها بشتى الطرق.
- ومَن أنت لتقرّر حمايتي؟
- صغيرتي، ولم الغضب؟ من غير اللائق أن تجيبي ضيفنا بقسوة وفظاظة، فأنت لبقة الكلام.
- أمّي أرجوك أن تفهمي. إنه قد دأب على التدخّل في عملي حتّى من دون أن يسألني وقد شغلني وشغل بالي لأشهر وأنا أفكّر في الشبح الذي يرسل إليّ باقات الورود مع رسائل مضمرة غاياتها. لأدرك بعدها أنه ابن بلدتي!
- أرجوك أن تهدئي. أرجو منك أن تعطيني فرصة لأدافع عن نفسي وأشرح

ما قمت به. إنّي ما حضرت أمام والديك إلا لأعترف أمامهما فليطلقا حكمهما عليّ. إنّي مؤمن بعدلهما كما عدلك. وكما ذكرت لك في الرسالة يا حريّة، قد عرفتك طفلة صغيرة، فمشاغلي الكثيرة أبعدتني عن بلدتي الحبيبة وعن أخبار أبنائها من الأهل والأحباء. وعندما أخبرني عنك صديقي، وأنك بدأت مرحلة تدرّجك في مكتبه، قاصًّا عليّ صفاتك وحيويتك وكفاءتك، تملّكني الفضول لمعرفتك. لكنّني ما أردت أن أتعرّف إليك في العاصمة ولأوّل مرة بعد طول انقطاع. ففضلت أن ألقاك في بلدتنا الحبيبة بين أهلنا وأحبابنا، لكن لم تسنح الفرصة المناسبة فأخذت أتابع أخبارك من بعيد، حتّى علمت أنّك رفعت دعوة قضائية على متسلّط باسم زوجته وعائلتها.

هنا قلقت عليك وفضّلت أن أحذّرك بعد أن علمت بتهديده لك، وكنت قلقًا من ردّة فعلك. فدأبت على إرسال باقات الورد التي ضمّنتها رسائلي لأخاطبك حرصا عليك كيلا أعرّضك لإحراج أو خطر محتمل.

- ولماذا لم تكلف نفسك عناء الإتّصال؟ وكيف توقّعت ردّة فعلي وأنت لا تعرفني؟
- ما كنت لأخاطر في خسارتك، كما أنّي أردت أن أتعرّف إليك أكثر وإلى طبعك فأتعرّف ثوابتك ونهجك العملي والإنسانيّ الحياتي.
- لكنك أهنتني في الرسالة الأخيرة...
- كنت قد قرّرت التقرّب منك جدّيا بل عقدت العزم على أن أطلبك من أهلك عروسا لي، وقد ألغيت سفرا مفاجئا لكي أحضر إلى قريتنا فأزوركم وألقاكم لأصارحكم بطلبي.
- علام عقدت العزم؟! أن تطلبني عروسا!
- نعم يا حريّة. إنّي أتيت لأعتذر منك في حال أزعجتك بأسلوبي، هكذا

تصوّرت اللقاء بيننا. إعلمي أنّني قد عشت وحيدًا طوال حياتي، مأخوذًا بالعمل والسياسة وكنت أعتقد بهشاشة مؤسّسة الزواج، وما فكرت قطّ بفكرة الزواج. إلى حين سمعت أخبارك، وعرفتُ نجاحاتك وتميّزك وصوابية عملك، وطهر أدائك وصدقك. فسرقت خيالي. أرجوك أن تفهميني، أنا أعلم أنّني أفوقك بأكثر من عشر سنوات عمرًا، إلّا أنني أرى فيك امرأة مثالية لتشاركني حياتي.

أعلم أنك تستغربين تصرفي وطلبي... سأكون سعيدًا جدا وسأفعل المستحيل لو قبلت بي زوجا.

ضاعت الكلمات من حريّة، وتاهت منها قواعد المنطق وثوابت الحقائق... فكيف تمكّن هذا الرجل من القدوم إلى المنزل ليعترف ويعتذر ويطلب كلّ ما قاله. يا لجرأته! يا لثقته بنفسه! إنّه حقًّا شخص لا يمكن وصفه. وتدخلّت الأمّ قائلة:

- نقدّر زيارتك يا سيد متعالي، وأنت المقرّب لعائلتنا منذ زمن. لكنّ قدومك فجأة لطلب يد ابنتي وبهذه الطريقة غريب بعض الشيء.
- يا سيدتي، الحياة قصيرة مهما طالت، وأنا لا أحبّذ إضاعة الوقت أبدا كما أنّني لا أعتمد أسلوب المواربة لاسيّما بين أهلي وأقاربي. إني أرغب في الزواج منها... ولها طبعا أن ترفض أو أن تقبل... لكنّني أرجوكم وأرجوها أن تفكر في الموضوع جيّدا ولتأخذ وقتها. ولتعلموا جميعا أنّني سأكون أسعد إنسان في هذه الدنيا لو قبلَتِ الزّواج بي، وسأصونها وأحميها وأقدّم لها حياة كلّها سلام ومحبة ووئام واحترام.
- إنّك رجل نفتخر به في قريتنا وفي الوطن أيضا، قال الوالد. فأنت مثال النجاح، وقد تميّزت بخدماتك الاجتماعية ووفائك لأهلك وبلدتك.

وهذا إن دلّ على أمر فهو يدلّ على أصالتك ورفعة أخلاقك ومبادئك

السامية. أنت خير زوج لمن تريد أن تشاركك حياتك. أمّا في ما خصّ ابنتي فالقرار لها. وأعتقد أنّها بحاجة إلى بعض الوقت. أليس كذلك يا ابنتي؟

- صدقت يا والدي. إنّي متفاجئة من كلّ ما سمعته، أمّا في ما يخصّ طلبه للزواج فإنّي أرجو منه بعض الوقت لأمنحه قرارا واعيًا.
- لك ما طلبت يا حريّة، أتفهّم موقفك. أرجوك أن تسامحيني. ها أنا أطلب عفوك مرة أخرى في حال سبّبت لك الإزعاج بأيّة طريقة. والآن أعذروني قد حان وقت مغادرتي، أترككم برعاية الخالق.
- بالتوفيق يا بني، نشكرك على زيارتك.

أمّا حريّة فلم تستطع توديعه... فقد كانت مستغربة ومتفاجئة من تصرفاته، وهي ما تزال في هول الصدمة بعد معرفتها هُويّة الشبح، مرسل باقات الورد.

جلسوا جميعا للتشاور وكانت الآراء متفاوتة. فحريّة مستغربة ورافضة الأمر، بيد ان والدها متحمّس للفكرة أما حنونة فمتردّدة في حسم رأيها. فانبرى الوالد ليقول:

- يا ابنتي قد أدركتِ سنّ الزواج منذ سنوات مضت، وأردت تحقيق وصية شقيقك الراحل طموح، بألا تقدمي على الارتباط قبل نجاحك في الجامعة والعمل. وها أنت اليوم محامية بارعة وناجحة ومعروفة في الوطن. فإذا لم يكن لديك سبب وجيه لترفضيه، فلا تتردّدي يا غاليتي.
- وماذا عنك يا أمّي؟
- ابنتي الحبيبة، إنّ سعادتي تتلخّص في رؤيتك سليمة ومستقرّة كما إخوتك يا حريّة. قد أودعت طموح في رحلته إلى جنات الخلود نصف قلبي، ولكم أبقيت النصف الآخر، ومن دونكم لا حاجة لوجودي، ففرحي هو فرحكم. أمنيتي أن أراك عروسا يا ابنتي، وإنّني سأكون محظوظة جدا، في

حال اتّخذت لك زوجا من بلدتنا، لتكوني قريبة مني دائما.

وهذه حياتك أنت وخيارك أنت، ولن أسمح لنفسي في أن أتدخّل وأعطي رأيي بشخص زوجك إلا في حال وجدت أنّ من يطلبك لا يناسبك، عندها سأقدّم لك نصيحة الوالدة الخائفة على مستقبل ابنتها.

- اذا أنت ترين أنّه يناسبني يا أمي فلهذا لم تسجلي اعتراضك!
- لم أقل إنّي موافقة، لكنه رجل ناجح ومعروف وميسور، ومن الواضح أنه يحبّك ويقدّرك، وستكونين معي وإلى جانبي دومًا. فما من سبب رئيس يدفعني لأنصحك بألا تقبلي به. ودخل متعصب إلى الغرفة فوجد الجميع منهمكين في الحديث فسألهم:
- ما سبب هذا الاجتماع السري؟ كأنّكم حكومة دولة تناقش مصير الكون.
- كنت وستبقى متسرّعا مستهترًا يا متعصب. أنت دائم المزاح يا شقيقي.
- لكن هذه هي الحقيقة، فقد دخلت عليكم لأجدكم منهمكين في حديث جدّي من الواضح أنّ موضوعه يسبب لكم الإزعاج وما أخبرتموني به.
- ما أعلمناك لأنك لم تكن هنا. والموضوع مفرح لا محزن، ومرنٌ لا معقّد.
- إذا ما هو؟ أخبرني يا أبي.
- قد تقدّم متعالي بطلب زواج من شقيقتك.
- هذا خبر سارّ.
- ولم تجده يا شقيقي خبرًا سارًّا؟
- لأن متعالي رجل نفوذ، سياسيّ مرموق، ويتمتع بسلطة رفيعة الشأن في الدولة. وسيكون صهرا سندًا بكل ما للكلمة من معنى.
- قد وافقتم جميعًا على زوجي المزعوم، وما انتظرتم حتّى قراري النهائي... فقد أرفضه تمامًا.

- ولِم ترفضينه يا أختي؟ إنّه رجل لن يتكرّر. إقبلي يا حريّة. إقبلي... فهو رصيد لمنزلنا وعائلتنا.

- إنّك تفكّر دوما بعقل منغلق ومحدود. كلّكم تناسيتم رأي طَموح.

- وكيف سنسأل شقيقنا عن رأيه وهو في دنيا الخلود؟

- لا داعي لأن تسأله! عليك أن تشتاق له وتتمنّى وجوده فقط، لتزورك روحه بطيفها وصدقها فتشعر به معك يشاركك همومك وقراراتك وخياراتك. لكن ما أدركت رأيه وهو على قيد الحياة، فكيف تعرف رأيه وهو طيف روح لا يُلمس ولا يُسمع؟

- لماذا تخاطبينني دومًا بتلك اللغة القاسية عندما أذكر شقيقنا الراحل طَموح! فقد كان شقيقي كما هو شقيقك! قد ضقت ذرعًا بك. سأرحل!

- لماذا تعاملين شقيقك بهذه القسوة؟

- إنّ متعصب يثير جنوني عندما يتحدّث بهذه السطحية عن شقيقنا طَموح، وأنا أعلم جيّدا ما كان يعانيه ويقاسيه معه. ويا أمي، لم أشعر قطّ أن طَموح يطمئن لمتعالي؛ وأنا لا أذكر أنه تحدّث بالخير عنه.

كأنّ شعورا غريبا يعتريني في داخلي لا أقدر على وصفه.

- لا شكّ أنك تشعرين بالريبة والاستغراب، فهي المرة الأولى التي تواجهين فيها موقفًا مماثلا.

- لا أعلم يا أمّي، لا أعلم. سأفكّر وسأسأل عقلي ألف سؤال وسؤال قبل اتّخاذ القرار. لأنه صعب ومصيريّ.

- بالتأكيد يا ابنتي، كلامك صائب ومحقّ. خذي ما أردت من الوقت. فكّري يا ابنتي. فكّري...

أمضت حريّة أسبوعا كاملا في منزلها ومع عائلتها تفكّر وتسأل نفسها وتعيد

حسابتها بمجملها... تفكر في تصرفات متعالي بعد إرساله باقات الورود فتنزعج وتزداد رفضًا، ثمّ تتذكّر موقفه أمام أهلها، وشجاعته في الاعتراف والإعتذار ثمّ طلبها للزواج فتزداد اقتناعًا. وها هي تحلّل شخصيته ومركزه لتستنتج أنه رجل ناجح لديه سلطة ورغم ذلك يتقن الوصول إلى قلوب الناس، فعائلتها وأهل القرية يكنّون له الاحترام التام، وهو لم يتزوج قبلًا، وروحه مفعمة بالنشاط والشباب حتّى لو كان يفوقها بعشر سنوات.

عاد متعالي من رحلة سفره، وقصد منزل عائلة حريّة فور وصوله، ليسلّم عليهم ويأخذ منهم الجواب على طلبه، فحصلت المفاجأة.

استقبله الوالد، وجلس معه لتأتي الوالدة حاملة القهوة بيدها. فسأل متعالي عن حريّة وقال:

- أين حريّة؟ هل ذهبت إلى العاصمة؟
- هي تمضي إجازتها السنوية معنا، ولم تغادر القرية منذ زيارتك لنا قبل أسبوع مضى.
- إذا أين هي؟ وهل علمتما ما كان قرارها في ما يتعلق بطلبي؟
- إنّ الإجابة عن سؤالك الأخير لا يمكن أن تحصل عليها إلا من حريّة نفسها، فهي لم تطلعنا بعد على قرارها.
- أين هي لتطلعني على موافقتها أو رفضها طلبي؟
- أنا هنا يا سيد متعالي، وسأعطيك الجواب.

وقف متعالي، والتفت إليها متلّهفا:

- إذًا ما قرارك؟
- إنّ الزواج مسؤولية، والمسؤولية رسالة إنسانية، والرسالة لا بدّ وأن تكون

صادقة وإلا ضاع الجوهر والمضمون.

- حكمتك دفعتني إلى التعلّق بك.
- دعني أتابع لو سمحت.
- حسنا تفضّلي...
- إنّ الزواج رسالة، وواجب عليّ أن أتيقن من شعوري بالإضافة إلى ثقتي ومعرفتي بمَن سيكون في حياتي شريكا أساسيا. وعلى هذا الأساس، وردّا على موقفك الجريء وموقفك أمام أهلي، واجب علي أن أمنحك فرصة التعارف، فلعلني أجد في شخصك الزوج المنشود، وفي خبايا عقلك صدق الوعود والعهود.
- لم توافقي ولم ترفضي بل قررت التعرف إليَّ أكثر ومع مرور الوقت ستختارين وتقرّرين.
- نعم. هذه خلاصة موقفي.
- وكيف ستتعرفين إليّ؟
- من خلال زيارتك إلى منزل العائلة طبعا، ولا شيء آخر. فإنّنا يجب أن نتّفق على الخطوط العريضة في الحياة الزوجية، وأن نرى سويّا إن كنا متلائمين. فربما أحدنا لا ينظر إلى الحياة كما الآخر، وقد تكون لنا وجهات نظر مغايرة وربما متناقضة.
- صدقت يا حريّة. أوافقك. إنْ تحدثت فما نطقت إلا كلامًا واعيًا وحكيمًا.
- جميل جدّا ما أسمع، هذا هو التوافق وهذا هو التأسيس السليم لسنّة الزواج. قال قاسي.

نعم، إنّ الإتّفاق والتفاهم بين العقول، يجلب السعادة إلى القلوب. أحسنت يا ابنتي!

دأب متعالي على زيارة حريّة مدّة شهر كامل في منزل والديها، وكان يهاتفها من فترة إلى أخرى للإطمئنان عليها. فبدأت تشعر حريّة معه بالأمان، وتشعر بالراحة لوجوده، كما أنه أتقن فنّ التعامل معها وأفسح المجال لشخصيتها المستقلة، فما أبدى اعتراضًا على عملها، وقد كان داعما ومحفّزًا لها. وجدت في عقله وعيًا كبيرًا لا بأس به في الحياة، فهو رجل تعلّم من الحياة الكثير، حتّى بات يتقن رسم الدروب للوصول إلى الناس والتقرّب منهم، ومواجهة المصاعب والمشقات الحياتية.

مع مرور الوقت، أدركت حريّة أنّها اعتادت وجود متعالي في حياتها، وصارت تسأله رأيه في مختلف المسائل الاجتماعية والعملية، ورأت منه أسلوبا منمّقا بتعامله معها كامرأة تحتاج إلى الرعاية والاهتمام فالإحترام... بالإضافة إلى أنها لم تشعر يوما، ولو للحظة أنه قد يقدم على خيانتها، لأنها رأت فيه صدق المحبة. وكلّ ذلك دفعها حتّى توافق عليه زوجا لها.

تزوّجا، وكان لهما عُرس متواضع لم ترده حريّة أن يكون موسّعا مزخرفا ومكلفا، وذلك كي تبعد عنها شبح تهمة التكبّر والتعجرف. إنّما أرادته عرسا بسيطا عائليا غنيّا بمحبّة المقربين. ثمّ سافرا في شهر عسل طويل، لتعود بعد مدة فتزاول عملها في العاصمة كمحامية بالاستئناف، في حين أنّها كانت تتابع دراساتها العليا والمتقدمة، ودائما وأبدا تسعى إلى أن تتبوّأ منصب قاضٍ في النيابة العامة، لأنّ في عقلها هدفا ومشروعا كانت تحلم بهما منذ زمن، حتّى قبل أن تدخل الجامعة وتتخصّص في مجال المحاماة.

عاشت حريّة وزوجها حياة هادئة، مفعمة بالتفاهم والتعقل والإحترام المتبادل. وكان دائمًا يهتم لأمر عملها ويدعمها، في حين أنه كان دوما يطلب منها ألا تسأله عن عمله ونشاطاته ولا تتدخل في شؤون مسؤولياته السياسية، فهو يريدها بعيدة عن السياسة ومشاكلها. وحريّة احترمت موقفه هذا وما تدخلت يوما في عمله... فقد كانت تحصل منه على كامل الثقة لتبادله هي الثقة التامة أيضا والإحترام.

ذات يوم، تلقّى شجاع مكالمة هاتفية من حريّة تعلمه بضرورة لقائه والتكلم معه في موضوع هامّ. سألها عن فحواه فأجابته بأنّه موضوع لا يمكنها مناقشته عبر الهاتف، وأنّها بحاجة للتكلم معه مباشرة. فما كان من شجاع إلا أن قابل ابنة عمه في مكتبها في العاصمة ودار بينهما حديث لم يكن ليتوقعه أو يتخيّل نتائجه.

وصل شجاع إلى مكتبها، فسكبت له القهوة وجلست قربه، وقد رأى في عينيها بارقة أمل. فسألها:

- ما بالك يا ابنة عمي، لماذا طلبتني على وجه السرعة؟ ماذا تريدين أن تسأليني؟ في عينيك الكثير وأخاف ألا أحمل له أجوبة. تذكرينني بالغالي طَموح وتشبهينه اليوم في كل شيء، حماسك واندفاعك وعداوتك مع الوقت والزمن. أنت على عجلة من أمرك دائمًا كما كان هو...

حتّى أنّني اليوم أرى طَموح أمامي لا حريّة. فيوم زارني ليعلمني أنّه سيأخذ خيار تمثيل الشعب ودخول العالم السياسي من أوسع أبوابه، لم أوافقه أو أشجعه آنذاك، لكنّ بريق عينيه وحماسته جعلاني أخجل من طرحه فسكتت. وهو البريق نفسه أراه اليوم في عينيك يا ابنة عمي.

- شجاع، دعوتك اليوم من أجل طَموح.
- وكيف ذلك يا ابنة عمي؟
- نعم...
- كيف؟
- شجاع، إسمعني جيدًا... لقد قرّرت إعادة فتح القضية.
- وعن أيّة قضية تتحدثين؟
- أقصد قضية إغتيال شقيقي طَموح، سأعيد فتح ملف التحقيق من جديد

في ملابسات اغتياله، وأريدك أن تساعدني. فقد كنت الأقرب إليه، وتعلم الكثير عنه ما قد يخدم التحقيق كثيرًا.

- تمهّلي قليلا.

- أتعلم أنّي قد عُينت أمس قاضيا ونائبا عاما جزائيًا بعد نجاحي في امتحانات القضاء، ولم أخبر أحدًا بذلك حتّى زوجي؟

- حقًا!؟ أصبحت قاضيا ونائبًا عامًّا جزائيًا! لماذا لم تخبري زوجك بالخبر السار.

- هو في مهمة رسمية خارج البلاد. ولأنني عيّنت في موقعي صار الأمر دافعًا أساسًا جعلني أفكر في إعادة فتح القضية من جديد. وقد أصبحت قادرة على مجاراة التحقيق ومراقبة تفاصيله عن كثب.

- يجب أن نعلم العائلة ونقيم احتفالًا بمناسبة توليك مقامًا رفيعًا.

- أبدا، أريد أن أبقي الأمر سرًّا حاليًا حتّى لا يتنبّه القتلة فيأخذوا احتياطاتهم ثمّ يتلفوا أدلة أو يتفادوا أخطاء معينة، أو بكل بساطة أتركهم يفرّون.

- حسنًا، لك ما تريدين لكن تمهلي، تمهلي. دعيني أقف لأقدم لك التحية. طَموح كان ليفخر بك لو كان موجودًا بيننا اليوم.

- طَموح ما رحل يومًا حتّى نتحسّر على وجوده. شقيقي موجود في كلّ خطوة ناجحة نقوم بها لصالح خير الوطن والمجتمع. إسمع، أريدك أن تطلعني على أيّ شيء أو أمر يخصّه ويخصّ قضيّته، حتّى لو كان أمرًا سخيفًا... أيّ تفصيل حصل مع طَموح أمامك أو أطلعك هو عليه.

- يا ابنة عمي، إنّ أهل الظلمة لم يخافوا من طَموح لكنّهم قتلوه... أخاف عليك من المتاهة التي تنوين الدّخول فيها.

- شجاع، إنتبه لما سأقوله جيّدًا. قد أخطأت في قولك إنّ المجرمين لم يخافوا من طَموح، على العكس لأنّهم خافوا منه قتلوه. لكنّه انتصر عليهم بأفكاره

الخالدة. أمّا أن تخاف عليّ أنا فقد تعلّمت من شقيقي الراحل ألّا أخاف، وأنّ الحقيقة تستحق النضال والتضحية حتّى بأرواحنا، لأنه لا حياة لروحٍ لم تعش عمرها حرّة، ولم تناضل من أجل الحقّ والحقيقة.

- أعود لأقول لك يا حريّة... أنت تذكرينني بطَموح، أقسم انني أراه أمامي لكن من خلالك.

- كلّي أمل أن أشبه طَموح وأن أكمل مسيرته ودربه. والآن قلْ لي يا شجاع. هل ذكر لك يومًا أنّ له أعداء، أو أنه تلقّى تهديدًا معينًا؟

- أبدا... طَموح ما كان ليلقي بهمومه على أحد. فلأجل صدقه وجرأته في العمل السياسي وشجاعته في كشف الفاسدين، كنت أخاف عليه فأسأله إن كان يواجه أمورًا مشابهة لكنه كان دائمًا يجيبني بالنفي.

- هذا لأنه أراد أن يبعدك عن دائرة الخطر، فهدفه أن يجنّبك خطر أهل الظلام. لذلك لم يفصح لك عن هذه الأمور، لكن هل شككت يومًا بأية جهة ترغب في أذيته؟

- حريّة، أخوك كان مثالًا لنهج صالح وسليم، أخوك كانت كفّه نظيفة من الفساد، كان سياسيًّا لامعا، وطنيًا أصيلًا. وحتمًا كسب عداء كلّ من لا يتمتعون بصفات مشابهة، وما أكثرهم! أنا أشكّ في كلّ فاسد وطامع بالسلطة، وكلّ مَن لا قيمة عنده للحريات ومنطق الديمقراطية. فأولئك جميعهم، وقد لا نعرف معظمهم، هم أعداء نهج طَموح.

- إذا أخبرني عن يومه الأخير في حياته، يوم اغتياله. أكنت تعلم إلى أين كانت وجهته؟

- نعم، فقد حدّدنا لقاءً مع أصدقاء قدامى في القرية كنّا معهم زملاء على مقاعد الدراسة.

- كان طَموح ذاهبًا ليقلّك؟

- نعم، وغريب ما حصل ذاك اليوم...
- لماذا تصفه بالغريب؟
- أتعلمين يا حريّة لقد أعدتني عشرة أعوام تحديدًا، كأنّني الآن في تلك الليلة التي أنتظر فيها شقيقك. آهٍ لو كان باستطاعتنا إعادة عقارب الزمان في رحلة طويلة تعيد إلينا أحباءنا...
- شجاع ماذا تذكرت؟ هيا تكلّم! ما الأمر الغريب الذي حصل يوم الحادثة؟
- في ذاك اليوم كنّا إتّفقنا أن يأتي طَموح ليقلني بعد المغيب فنذهب سويا في زيارتنا التي حدّدناها مسبقا مع الأصدقاء.
- إذا وما الغريب في الأمر؟ هيا تحدّث يا شجاع. إياك أن تنسى تفصيلا أو أمرًا حدث. أريدك أن تبحث في صور ذاكرتك عن أي تفصيل صغير، فتطلعني عليه... هيا... هيا.
- تمهلي يا حريّة، تطلبين منّي تذكّر ما حصل منذ عشرة أعوام. أمهليني بعض الوقت.
- الحقيقة لا تنتظر يا شجاع، تذكّر ذلك. قالها طَموح لي يومًا وها أنا أكرّرها عليك. هيا يا ابن عمي، صُبَّ جام تركيزك على ذاكرتك، واستحضر ما استطعت من ذلك اليوم.
- حسنًا، حسنًا. سأبذل ما في وسعي. يومها يا حريّة، هاتفني طَموح قبل موعد لقائنا بفترة وجيزة فقط، فاستغربت اتّصاله بي، وتوقّعت أنه عدل عن ذهابه لزيارة الرفاق وسيعتذر عن عدم حضوره.
- لكن لماذا اتّصل بك وهو في طريقه إليك ولا تفصله عنك إلا دقائق؟
- إستغربت ما قاله لي.
- أرجوك يا شجاع لقد بدأت تتلف أعصابي بطرحك المجزّأ للأحداث.

أرجوك أن تسردها كاملة ومن دون أن تلجأ إلى عامل الإثارة والتشويق، فانا لا أحتمل. أكمل حديثك يا شجاع.

- إتصل بي قائلًا: «**يا ابن عمي، معًا كتبنا طفولتنا في دفاتر الايام، ومعًا خططنا على صفحات عمرنا الفاني قصصًا تارةً عرفنا فيها الفرح، وطورًا غلبنا الحزن...قد رأيت فيك الأخ والصديق القريب، الذي إن علم بخطئي صحّح مساري، فكنت صديقًا في وقت الضيق، أطال الله برفقتنا**». فما كان مني إلا أن سألته حينها: إنّك ترعبني... لماذا تحدثني هكذا يا ابن عميّ، هل عدلت عن الزيارة؟ أأصابك أيّ مكروه؟ فأجابني: «**قطعا لا، أنا في طريقي إليك لكن لا أحد يعلم ما في الغيب، قد شعرت بقشعريرة باردة سرت في جسدي وأحسست بالحاجة إلى مكالمتك فقط**».

- كأنّه يودعك بذاك الإتصال، قالت حريّة مستغربة.

- نعم، فحينها لم أفهم ولم أدرك لماذا اتصل بي وهو يتّجه صوبي. إلا أنني حين سمعت الخبر المشؤوم، تذكرت فورًا المكالمة الأخيرة التي دارت بيننا، وأدركت أنّ روحه كانت تعلم قدرها في تعذّر وصوله إليّ.

- نعم، وهذا ما جرى معنا في المنزل حسب ما أذكر... فقد لاعب الأولاد جميعا، وحادث الكبار كلّهم من دون إستثناء، حتّى أنّ شقيقي متعصب قالها لطَموح وقتها: «شقيقي ... لم أعهدك تتحدّث هكذا، يكاد كلامك يشبه من يترك وصيّة أو من أدرك أنّ ساعة الفراق قد دنت... غريب أمرك!». ووداعه لأمي ووالدي وحتّى وداعي كان غريبا ومختلفًا، كأنه أدرك أنها المرة الأخيرة التي تزورنا عيناه.

- حريّة... الآن تذكرت شيئًا، لا أعلم إن كان مهمًّا، إلا أنه حدث معي يومها أيضًا.

- وماذا تقصد؟ عن أي أمر تتحدّث؟

- يومها، وبعد أن انتهت المكالمة الهاتفية بيني وبين طَموح، إنتظرته وقتًا لا بأس به، فشعرت أنه تأخّر عن الحضور. فعاودت الإتصال به. رنّ هاتفه، وفُتح الخطّ... فخُيّل لي أنّني سمعت تلقيم سلاح وصوتًا رَعَدَ رعدًا أحسست أني أعرفه يردّد: «إرمِ هاتفك خارجًا» وما هي إلا لحظة حتّى انقطع الخط ثانية... خلت وقتها أنّني سمعت صوتًا يشبه صوت غدّار لأنّك تعلمين قوة صوته بخشونته وصلابته، فهو أشبه بصوت منشار الحطب، إلا أنني اعتبرت الأمر عابرًا أو أنه مجرد تهيّؤ...

صدمت حريّة لما سمعته من شجاع، فوقفت مستغربة متفاجئة لأمر حدث كان ليكون حاسمًا لو عرفته الشرطة. فرمقت شجاع بنظرات غضب قائلة:

- ما الذي قلته؟ وماذا حدث بعدها؟
- أبدا لقد عاودت الاتصال مرة أخرى، فكان هاتفه مغلقًا.
- بالطبع سيكون مغلقًا لأنّ شقيقي رمى هاتفه تحت التهديد بالقتل.... رماه... رماه.

وتابعت قائلة والصدمة تعتريها ويتملكها الغضب:

كيف احتفظت بهذه المعلومات القيّمة عن التحقيق؟ فهذه حقيقة قد تساهم في كشف ملابسات القضية كاملة. كما أنها معلومات تعتبر قرينة دامغة وقد تساهم في كشف الفاعل. وقد تحاسب عليها قانونيا لأن هذا يعتبر تسترًا على معلومات قد تخدم التحقيق.

- أرجوك يا حريّة، لم أقصد أن أخفي الأمر عن التحقيق، فأنا مثلك أريد إجلاء الغموض عن حقيقة مقتل الغالي طَموح، ولكنني لا أفقه في أمور القضاء والتحقيقات شيئًا... وقد تركت للشرطة والمحقّقين أن يقوموا بعملهم. ولم أكترث لما سمعته وقتها لا سيّما أنني لم أسمع طلقات نار، كما أنّ طموح لم يجب أو يحدثني، فاعتقدت أنه خطأ في شبكة الهاتف، وعندما

حاولت الاتّصال مرة ثانية ما استطعت لأن الهاتف كان خارج الخدمة.

- سامحك الله.. سامحك الله... لأنك أخفيت ومن دون قصد أحداثًا مهمّة. فمن حديثك أستنتج، أن القاتل — وقد يكون غدّار، لا نعلم بعد – كان برفقة طَموح في سيارته، وساعة رنّ هاتف شقيقي حمله ليرى من المتصل، فشهر عندها مسدسه طالبًا من شقيقي أن يرميه، وطبعًا لم يلحظ أنّ طَموح استقبل إتصالك لتسمع أنت تهديده.

وعندما عاودت الإتّصال كان خطّه مقفلًا، لأن شقيقي قد رمى الهاتف خارج سيارته، فإنكسر وإنشطر إلى نصفين وانطفأ. كلّ محاضر التحقيق ذكرت وجود هاتف طَموح على مسافة من موقع الجريمة مكسورًا وكأنه رمي من مسافة بعيدة. سامحك الله يا شجاع...سامحك الله! فأنت وعن غير قصد قد أخفيت طرف الخيط الذي سيُلفّ به حبل مشنقة القاتل.

- أقسم يا حريّة ما كنت لأفكر بكل ما ذكرتِه، فقد صعقت بخبر وفاة طَموح يومها ونسيت كل تلك الأحداث، وما عدت أعي ماذا أفعل أو بماذا أفكر... عفوًا يا ابنة عمي.
- لا تخف يا شجاع، فالمهلة القانونية لم تنقضِ بعد، وفي استطاعتنا متابعة التحقيق. هيا معي لنذهب إلى المحقّق الذي سأعهد إليه ملف التحقيق في حادثة إغتيال طَموح.

وصلت حريّة برفقة شجاع إلى مكتب الشرطة المركزي في العاصمة وطلبا لقاء رئيس الشرطة، فدخلا مكتبه ووقف إحترامًا لهما ولاقاهما في وسط المكتب مؤهِلًا متبسمًا قائلًا:

- لقد أخبروني بتعيين قاض جديد في مركز النائب العام منذ أيام قليلة، فأهلًا وسهلًا بك يا سيدي. ومَن تكون السيدة الفاتنة التي برفقتك؟

لم يستطع شجاع أن يتمالك نفسه عن الضحك، وقال:

- السيدة الفاتنة التي تتحدّث عنها يا حضرة المحقّق هي المدعي العام الجديد، وأنا ابن عمها شجاع، وأتيت برفقتها.

خجل رئيس الشرطة من الموقف الذي وضع نفسه فيه، وضاعت الكلمات من عقله وتاه لسانه عن الإعتذار، فوقف متفاجئًا ينظر إلى حريّة... فقالت له:

- لا بأس، فلا عجب في مجتمع يغلب عليه الطابع الذكوري، ألا تتقبّل عقول الرجال فيه حتّى الآن فكرة وجود امرأة في موقع السلطة. وهذه معضلة لا نعلم كيف سنتخطّاها، ولكن لا بدّ أن يأتي ذاك اليوم المنشود. وحتّى ذاك الوقت، أتمنى أن تستطيع تقبل فكرة أنّني امرأة قاضية تشغل مركز نائب عام.

- طبعًا أتقبّل... أعتذر اعتذارًا شديدًا منك يا حضرة القاضية. أرجوكِ إغفرِي لي ما سقط سهوًا مني. فقد أخبروني بتعيين نائب عام جديد ولكنني ما أزال في انتظار البرقية الرسمية وها أنت قد حضرت قبل وصولها. فلي الشرف أن أتعرف إليك شخصيًا.

- اسمي حريّة وهذا إبن عمي شجاع.

- مهلا... مهلا... ماذا قلتِ؟

- فلت لك اسمي حريّة وهذا هو ...

- فقاطعها رئيس مركز الشرطة متعجبًا سائلًا إياها:

- أقلت حريّة؟ أتعنين حريّة عينها، شقيقة الراحل طَموح؟

- نعم، هي بنفسها، أجابه شجاع. وهل كنت تعرف طَموح يا حضرة المحقّق؟

- كيف لي ألا أعرفه... فقد زرع ذاك الشاب في قلبي نواةً للمواطنة الحقّة. وكان زميلي في الجامعة، حتّى أني كنت حاضرًا في يومه الأخير. يوم وقفت أنتِ يا حريّة بكل شجاعة وأمانة لتقرئي وصيته أمام الجموع. إنّ اسمي هو «إلتزام».

- تذكّرتك يا حضرة المحقّق. فقد صادفتك مرّاتٍ عدة في الجامعة. ولكنك قد تغيّرت كثيرًا.

- ومَن منّالم تغيره الأيام يا صديقي. تفضّلا، تفضّلا بالجلوس. طَموح لم يكن شخصًا عاديًّا. فقد كان إنسانًا مثقفًا، متواضعًا خلوقًا، لا يمكن إلا أن يترك أثرًا في قلوب من عرفهم أو قابلهم. حتّى أنّني أتذكّر جيدًا حادثة حصلت معنا في حرم الجامعة. يوم أُخذنا بحديث جديّ وجريء يتعلّق بتعصّب البشر للمذاهب والطوائف مع بعض الزملاء، وما كنتُ قد تعرّفت بعد إلى طَموح.

وقد صودف مروره قربنا فناداه «مثقّف» وهو صديق مشترك بيننا، وعرّفنا إليه وطلب رأيه في موضوع النقاش. فأعطانا من ثقافته ورقي أفكاره المتحرّرة الكثير الكثير، فقد كنت ممّن ظلموه في بادئ الأمر لأنني لم أفهمه، ولكن حين علّل رأيه وشرح وجهة نظره، أخجلنا وجعلنا نعتذر من دون أن يطلب ذلك.

ومنذ ذاك اللقاء رافقناه وصادقناه. ومن المؤكّد أنّنا جميعا شعرنا بخسارته بل الوطن أجمع قد خسره.

- أفتخر بأنني ولدت في عالم هامت فيه روح طَموح، وأبى أن يرحل من دون أن يترك أثرًا جميلا لا يمحوه الزمان في قلوب كلّ من عرفوه. شكرًا لك أيّها المحقّق على كلّ ما أخبرتنا به، فصدقًا انك قد أثلجت قلبينا. الآن وبعد كلّ ما ذكرته أشعر أنّنا قد نحقّق الغاية المرجوة من زيارتنا لك.

- أية غاية؟

- لقد أتيت إليك لأعيد فتح ملف جريمة اغتيال شقيقي في حال تمّ حفظها، فأتابعها عن كثب. وبخاصّة أنّني أحمل معطيات جديدة لم يأخذ التحقيق بها قبلا.

- حين وفاة طَموح كنت مبتدئًا غير معنيّ بالتحقيق، أما اليوم فأنا مستعدّ لأيّة مساعدة. غدًا سأطلب مكتب التحقيقات العام، وأسألهم استرجاع الملف، فأدرسه ونستكمل التحقيق. ولكن ما هو جديد المعطيات؟

- أنا أعرف المعطيات الجديدة ...

- إذًا... هاتِ كلّ ما تعرفه.

عندها أطلع شجاع رئيس الشرطة على ما حدث يوم اغتيال طَموح، وما كان قد سمعه عبر الهاتف، وعن اعتقاده بأنّ ذاك الصوت يشبه صوت غدّار، لأنّ صوته مميّز من بين أصوات أهل القرية، فهو صوت جهوري قاس، كصوت الرجال الآليين. وقال له إنّه اعتقد أنّ ذاك صوت مذياع السيارة أو محض تهيّؤات.

- كيف اعتبرتها تهيّؤات يا شجاع؟ قد يكون الأمر دليلًا يساهم في كشف الحقيقة. أتعلم أنّ إخفاءك معلومات مهمة كهذه يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون وقد تقع في ورطة؟
- نعم. هذا ما قالته لي حريّة. وأنا لم أقصد قطّ أن أخفي معلومات تساعد في حلّ القضيّة، فطَموح كان أخي.
- يا حضرة المحقّق، عوضًا عن استغرابك كيف لم يفصح شجاع عن تلك المعلومات القيّمة في ما يتعلق بجريمة اغتيال شقيقي، لماذا لا نبحث سويّا عن سبب عدم التوسّع في التحقيق؟ فمن الغريب ألا يحقّق ويُسأل أقرب الناس لطَموح عن معلومات قد تفيد التحقيق. فمن له مصلحة بتحجيم التحقيق؟ أو إذا صحّ السؤال من يستطيع؟ ومَن له القدرة على فعل ذلك؟
- صدقت يا حريّة، إنّه أمرٌ غريب! لم يُسأل لا شجاع ولا رفاقه عن معلومات تخصّ طَموح. حتّى أنا، زميله السابق في الجامعة وصديقه، لم أُسأل عن الحادثة.
- إذًا من هنا انطلاق البحث، فلنبدأ من تضييق حلقة مَن له مصلحة في موت شقيقي.
- الآن فهمت لماذا تمَ تعيينك نائبًا عامًا، فقد ولد لك عقل فطِنٌ بالفطرة.
- لا، يمكنك القول إنّني من تلاميذ شقيقي طَموح الذي زرع في داخلي نواةً للحق وشغفًا للعدالة، فجعلني أُسخِّر عقلي في سبيل الكشف عن الحقائق

وتطبيق العدالة.

- كأنّي أرى طَموح أمامي، فأنت تشبهينه في كلّ شيء.
- شكرًا حضرة المحقّق.. والآن ما هي الخطوة التالية؟
- علينا أن ندوّن في محضرٍ رسمي اعترافات شجاع أو معلوماته المستجدّة إذا صح التعبير. فنستدعي غدّار إلى التحقيق. وبعدها، سيبنى على الشيء مقتضاه. فإما أن نحتجزه وإمّا نطلق سراحه ونبحث عن أدلة أخرى.
- أريد أن أتحدّث إلى غدّار بعد أن تنهي تحقيقك معه، لو أذنت لي.
- وما الداعي إلى ذلك؟ نحن لا نملك دليلًا حسيًّا، وهو ابن قريتك، فلا أريد منك أن تجلبي المتاعب لك ولعائلتك. أفضل أن تبقَي بعيدة عن التحقيق حتّى نتبيّن الأمر منه. وهذا لصالحك طبعًا، وتأكّدي أنّني سأبذل قصارى جهدي بحثًا عن الحقيقة وفاءً مني لطَموح ونضاله الإنساني. ولا بد لنا أن نكشف الحقيقة ولو بعد زمن.
- حسنًا، سأمنحك ثقتي وسأثق بوفائك لزميلك الذي أشدْتَ أنت بوطنيته ومصداقيته وإنسانيته. سأنتظر منك أن تطلعني على آخر المستجدات.
- لك ما أردت، وبإذن الله سنوفق سويا في كشف الفاعلين. أما أنت يا شجاع فقبل أن ترحل أريدك أن تدلي بما حصل معك يومها في محضر رسميّ.
- بكل سرور يا حضرة المحقّق.

حضر المحقّق ورجاله إلى منزل غدّار، فلم يجدوه. اتصلوا بهاتفه فكان مغلقًا. فسأل المحقّق والدة غدّار الضريرة «حكيمة» وهي تعيش معه في منزله:

- أين ابنك يا سيدتي؟

- ومن يسأل عنه؟

- نحن رجال الشرطة!

- هل أنتم حقّا رجال الشرطة أم أنكم أصدقاؤه، تستغلّون وضعي للسخرية منّي كما جرت العادة...

- أنا رئيس مركز الشرطة يا سيدتي! هل كان أصدقاء ابنك يسخرون من وضعك الصحّي؟

- يا بنيّ، ماذا تتوقّع من نفوس ضلّت طريقها في عالم الظلام؟ فالنفوس التي لا تعرف طريق الخير وقد غلب عليها الفراغ القاتل الذي يولّده الفشل، لن تحقق رجاءها في هذا العالم الكوني الفاني الدنيوي، ولن تُقيم أية قيمة لنفس بسيطة يمتحن الخالق صبرها... ونفوس أولئك الشبّان مجنّدة في خدمة قوى الشرّ.

- وهل يحمل ابنك نفسًا تشابه تلك النفوس؟

- يا بني، هل رأيت نفسًا صادقت أخرى وما شابهتها؟

- قد وصلتني رسالتك، آسف لما تعانينه مع ولدك.

- إسمعني يا حضرة المحقّق جيّدًا. إن كنت فعّلًا محقّقا ساعيًا إلى الحقّ والعدالة عليك معرفة أمر أكيد... نحن لا نملك أولادنا بل نسعى لنحقّق ذواتنا بهم وبوجودهم، أما هم فأبناء القدر. وأرواحهم ملك خالقها. هي ليست لنا، وهو وحده القادر على معرفة مكنوناتها ومسارها. فقد سعيت وحاولت جاهدة أن أحقّق الخير في ولدي، إلا أنّ روحه ضالّة، وكليّ أمل أن يجد الخلاص لروحه يوما. ولكني ما رضيت يوما عن مساره في حياته.

- وكيف صبرت يا أمّاه؟

- إنّ ولدي، فلذة كبدي، لم يشعرني بالفخر يوما فلعلّني ألتمسه منك قبل موتي.

- أطال الله بعمرك.

- إنّ الصبر عند البلية ثواب عظيم لدى العليم القدير. وقد حاولت جاهدة مع ولدي غدّار إقناعه بالإبتعاد عن وحش الكبرياء، وألا يتّخذ من الفاسدين أصدقاء. لكنّه لم يستمع إليّ ولم يكترث، حتّى أنّني حاولت أن أهديه بصلواتي وكلماتي إلى الصلاة ولم يعرف لها سبيلا. فروحه ضالة. ساعدني يا بني وساعده حتّى تعرف روحه الخلاص — وكانت السيدة العجوز قد بدأت بالبكاء — أرجوك يا بني، أرجوك يا حضرة المحقّق.

- لا تقلقي، لا تقلقي. سنفعل المستحيل لأجل ولدك. ولكن هل تعلمين أين يمكننا إيجاده؟ هو ليس في المنزل وهاتفه مقفل.

- إنني حقًّا لا أعرف أين مقامه. أمس كان يقيم سهرة مع بعض أصدقائه، كما جرت العادة، يلعبون بالورق ويشربون الكحول، غير أنّه تلقّى اتصالًا مفاجئًا، فصرخ في أصدقائه وطردهم من المنزل. ورحت أسمع ضجيجًا كبيرًا في الداخل كأنّه يجمع ما تيّسر له من حاجاته، ورحل على وجه السرعة حتّى من دون أن يقول لي أيّة كلمة.

- ومن كان المتصل؟ ألم يقل اسمه خلال محادثته؟

- أبدًا، لكنني سمعته يردّد كلمات وعبارات غريبة...

- أرجوكِ أن تطلعيني. فمن المهم أن تتذكري جيدًا فقد يفيد الأمر التحقيق.

- وبم تورّط غدّار من جديد؟ ما تهمته؟

- لا يمكنني الإفصاح، لكن أريدك أن تتذكّري أيّ شيء قاله ولدك أمس.

- بعد أن طرد أصدقاءه، وتلك كانت المرة الأولى التي يحدث فيها أمر مماثل، فغالبًا ما يرحلون وهو في سبات عميق بعد السكر. أخذ يحادث نفسه فقد سمعته يقول: لماذا أنا؟ لماذا أتوا إلي أنا؟ فليذهبوا إلى الآمر الناهي، كيف عرفوا بي؟ وما الذي سيأتي بهم إلي؟ سأرحل، سأرحل عن هذا البلد

اللعين. وأمور أخرى قالها ولم أفهمها. أعتقد أنّ هنالك مَن أخبره بقدومكم من أجله.

- هذا ما أعتقده أيضًا، لكننا سنجده بالتأكيد. أتسمحين يا سيدتي بتفتيش المنزل؟
- بالطبع يا بنيّ، أتمنى أن توفّقوا في مسعاكم وأن تجدوا ما تبحثون عنه أو ما قد يساعدكم.

طلب المحقّق إلتزام تفتيش المنزل عن أيّ دليل قد يخدم التحقيق، وإتّصل بالمركز ليعمّموا رسم غدّار على المنافذ الحدودية والمطارات كيلا يسمحوا له بالهرب. إنتهى تفتيش المنزل وهمّوا بالرحيل فقال المحقّق إلتزام للسيدة حكيمة:

- يا أمّاه حكيمة، أعتذر لأننا بعثرنا مساحة راحتك بحضورنا وأسئلتنا. سنرحل الآن، وإن احتجت إلينا يمكنك أن ترسلي في طلبنا ساعة تشائين. لكن هل هنالك احد يساعدك أو يحضر للاطمئنان إليك ؟
- إنّ ابنتي تأتي كل يوم لتبقى معي وقتًا لا بأس به ثمّ تعود مساءً إلى عائلتها، وقد طلبت لي حديثا عاملة لتساعدني وتسكن معي فتهتم بي، فلا تقلق.
- إذا سنرحل. أذكرينا بصلواتك يا سيدة حكيمة.
- قبل أن ترحل أريد أن أقول لك أمرا.
- تفضّلي لو سمحت.
- بني، أدعوك لتنصر العدل دائمًا وكنْ حليف الحقّ، وحارب الظلم والشر أينما وُجدا. نحن أتينا إلى هذا العالم الدنيوي لأنّنا عصينا القدير في جنته، فإياك أن تعصاه على الأرض يوما. فنصرة الحقّ تحتاج إلى عزيمة وإرادة.

أريدك أن تترفّع عن العواطف، وتسعى دوما إلى النضال في سبيل إجلاء الحقيقة مهما كلّفت من أثمان. فشخصك مكلّف بحماية الناس حتّى من

أنفسهم، ومن شرّ أعمالهم، فكيف بالحال من ذويهم؟ ودائمًا تذكر، أنه لو كان أولادنا غاية لنا في هذه الحياة وما برّروا أهلهم، وهم الوسيلة التي أتوا من خلالها إلى هذا العالم، تنتفي الغاية لأنها ما كانت الصيرورة للوسيلة... أأدركت كلامي؟

- نعم يا أماه! أقسم أنني فوجئت بأقوالك، فقد تعلّمت منك الكثير اليوم. ورسالتك جليّة. وأقدر لك وقوفك في صفّ العدالة.
- تذكر ما أوصيتك به! أرجوك أن تساهم في خلاص روح ولدي غدّار.
- لك ما طلبت. واعلمي، أنّ مَن تحمل في قلبها الطاهر كل هذا العطاء وفي عقلها ميزانًا للحكمة، وتبصر بعقلها ما لا يبصره المبصرون، سنعمل جميعًا لخدمتها ونكون بمثابة أولادها. فمتى طلبتنا وجدتنا يا أماه. وفي حال اتّصل بك غدّار، أرجوك لا تقولي له إننا حضرنا.
- وفقكم الله في تحقيق عدالته على هذه الأرض الخراب.

رحل المحقّق إلتزام ورفاقه من المنزل وتوجهوا مباشرة إلى المركز، ليتابعوا التحقيق ويحاولوا إلقاء القبض على غدّار قبل فراره خارج البلاد.

ما هي إلا أيام قليلة حتّى استطاعت الأجهزة الأمنية المعنية تعقُّبَ أثر غدّار فقبضت عليه. فاتّصل المحقّق إلتزام بحريّة ليعلمها بأنّه أصبح في عهدتهم وأنّه لا يستطيع سجنه من دون اعتراف مباشر أو أدلة وقرائن حسيّة، إنّما يمكنه إبقاؤه في الحجز لمدة أيام وجيزة حتّى إنتهاء التحقيق.

طلبت عندها حريّة أن تزور غدّار وتتحدّث معه قبل بدء التحقيق فكان لها ذلك. وذهبت مسرعة إلى المركز ودخلت غرفة الحجز فرأته برفقة المحقّق، فألقت التحية عليهما. ثمّ قال غدّار:

- إبنة قريتي المحامية حريّة في ضيافتنا!

- ما تعوّدت إبنة قريتك أن تكون ضيفة على مَن يحمل من الغدر اسمًا وفعلا! فالغدّار يا ابن قريتي لا وطن له، ولا مكان يملكه، أو يستحقه.

- ولم هذا الكلام؟ أنا أكنّ لك الإحترام والتقدير الكبيرين. قد كنت أمازحك فقط.

- لا مزاح بيننا، ولا حتّى صلة أصالة. فمَن ليس فيه خيرًا لوالدته الكفيفة، ولا يحترم وضعها ومكانتها، فهو بالطبع ليس فيه خيرًا لنفسه، فكيف عساه إذا أن يقيم الإحترام للآخرين؟

- ولماذا أتيت؟

- لم أحضر لأحادثك إنما أتيت ساعية إلى ما بقي فيك من إنسانيّة. أيّها المحقّق، هلا سمحت لي بالتحدث على إنفراد معه؟

- لك الوقت الكامل.

- غدّار! أريد أن أسألك عن أمر؟ لماذا أتيت إلى هذا العالم؟

- لن أجيبك فقد قمت برجمي بكيل من الإهانات!

- جلّ ما قلته لك هو ما تعكسه مرآتك. فكلّ ما وصفتك به وقلته لك، اني واثقة أنك تبصره في مرآتك ولا ترضى أن ترضخ لواقع الظلام الذي تعيشه. فلتكن إجابتك عن أسئلتي آخر شيء حسن قد تقوم به، وإنّي أسألك لصالحك. أجبني لماذا أتيت إلى هذا العالم؟ لماذا خلقك الله؟

- خلقني كما خلق غيري. لأحيا.

- وكيف تحيا؟ أتبعًا لقاعدة ومبدأ؟ أو تقضي سني عمرك عشوائيًا؟

- أنا لا أفهم قصدك! إلى أين تريدين الوصول بفلسفتك هذه؟

- أريد أن ينطق الحق بلسان الإنسانية في داخلك، وأن تدرك انّ لكل فردٍ منّا مهمة في هذه الحياة، وقد أتى إلى العالم ليتمّم مهمته ويرحل، فكلّ منّا

أداة للقدر...

- سمعت هذه العبارة أو ما شابهها قبلا، لكنّني لا أتذكر أين ومَن...

- لا شكَ أنك سمعتها من شقيقي طَموح مباشرة، فهو القائل إنّ البشر هم أداة القدر...

- نعم، سمعتها من طَموح. فقد قال العبارة عينها لي يوم ... وتوقّف فجأة عن الكلام ولم يكمل جملته.

- أكمل يا غدّار! لم توقفت؟ متى قالها لكَ؟

- ما عدت أذكر متى قالها لي! وقد بدا عليه الإرتباك والحيرة.

- سأقولها لك، سمعتها يوم قتلته بدمٍ بارد...

- ماذا قلتِ؟ أنا لم أقتل طَموح! وازداد تردّدًا في أقواله وشحب لون وجهه.

- غدّار لا داعي للكذب. فطَموح لم يُقتل إلا على يد أحد أبناء قريته. فقاتله كان إلى جانبه في سيارته، وقد سمع أحدهم صوتك عبر الهاتف حين طلبت منه أن يرميه.

- ما قلته ليس دليلًا قاطعًا وكافيًا لإدانتي.

- لماذا قتلت شقيقي؟ هو لم يؤذِك يوما. كان يحترمك ويحسن معاملتك، على عكس غالبية أهل قريتنا الذين كانوا يتجنّبون حتّى إلقاء السلام عليك لأنّك ذو صفات قاسية ولك سجل حافل بالمشاكل على أنواعها.

- قلت لك إنّني لم أقتل شقيقك طَموح. فلو كنت قاتله لاعتقلتني الشرطة منذ زمن. وهم لم يحقّقوا معي في مقتله يومها.

- أنا أعلم أنّ هنالك قطبة مخفية في قضيّة اغتيال شقيقي طَموح، فتقاعُس السلطات واضح، وغياب الحقيقة لهو أكبر دليل على وقوف جهات تفوق القاتل قوة وسلطة.

لكن إسمع جيدا يا غدّار ما سأقوله لك: الآن صرت على اقتناع أنّك أنت القاتل، فحتّى لو لم يتوصل التحقيق لإثبات ارتباطك في الجريمة، فقد قرأت اعترافك في عينيك الخائفتين المرتعبتين حين ذكرت اسمه. لهذا تأكّد أنّه لا بدّ لعدالة السماء أن تتحقّق على الأرض ولو بعد حين. وتذكّر يا غدّار إنّ الوقت لا يفوت أبدا على التوبة، لأنّ نور الحقيقة أقوى وأعتى من أيّة ظلمة، مهما طالت عتمة الليل في عمر الإنسان. قد عشت حياتك في دهاليز المآسي والأحزان، وأنا واثقة أنك لم تعرف الفرح الإنساني الحقيقي يوما. فالفرح ليس بكمية الضحك التي يطلقها الإنسان أو بأوقات الهرج والفسق والمجون، فما الفرح الأعظم إلا بوجود الخير في قلوبنا، وطريق السلام وخلاص النفس هما السعادة المنشودة.

- وهل أتيت لإسماعي درسًا في الفلسفة يا حريّة ما كنت لأطلبه أو أريده!
- أبدًا... تأكّد أنّ القدير الجبار يهدي مَن يشاء. كما أنّ النفس وحدَها تقرّر في أي طريق تسير مهما كانت الضغوطات أو المغريات. فعسى يا غدّار أن تلقى نفسُك للخير دربًا، وأن تبحث عن خلاص روحك من دنيا الظلام التي وضعت نفسك في غاباتها وبين وحوشها.

وإن لم يكن لأجلك يا ابن قريتي فلأجل والدتك، فقد قالت إنك ضللت طريقك وهي تنكر وجودك فلا تريدك أن تكون أنت مرآتها... قد تبرّأت منك في العلن...

إنّك تغضب قلبًا طاهرًا أبيضَ حين تعصى أرقى الآيات المباركة لدى خالق الكون في إرضاء الوالدين. أطفئ لهيب الجمر في قلبها، واهتدِ واجعلها تفتخر بك بما تبقى لها من عمر، وقم بالعمل الصواب قبل فوات الأوان، وإلا قتلك ضميرك قبل أن يقتلك أيّ حكم أو أمر.

- عجبًا... عجبًا... تتحدّثين معي كأنّني مجرم مدان وأنا بريء من كلّ ما

قلته. لا علاقة لك بأمّي، كما لا علاقة لي بمقتل شقيقك طَموح. شقيقك قتل نفسه يوم قرّر مجاراة الكبار في السياسة، وسعى حتّى يغيّر حال مجتمع لم يعرف إرادة التغيير. قد طلبت منه أن يعدل عن أفكاره ويعتزل السياسة ولم يستمع إلى كلامي فاختار أن يكون بطلا.

- إنّ لسان الحقّ أَنْطَقك ولم ترد الاعتراف، أيّها الجبان! أنت بكلامك هذا تؤكّد أنّك لم تكن داعمًا طَموح، وما كنت لتؤيد خطّه ومساره.

- نعم، وإن كان الحال كما قلتِ يا حريّة، بأنّني لا أؤيده. فذلك لا يثبت أنّني قاتله.

- أيها الغدّار اسمًا وفعلًا! بماذا أذاك طَموح لتقتله، ألأنّه كان عصاميًّا حرًّا؟ ألأنه أراد النضال في سبيل حريّة أولادك وأهلك وبلدتك ووطنك؟ ألأنه أراد أن يُناصر الحقّ ويبعد الظلم عن الناس؟ ألأنّه أراد دولة تعيش ليعيش فيها أبناؤك وأحباؤك بكرامة وعدل ومساواة؟

أجبني. هيا، أجبني! متى أذاك طَموح لتُقدم على قتله؟

أتعتبرُ أنّ قتل الشخص قد يقتلُ أفكاره المحقّة والعادلة والصادقة. أبدًا، إنتظرْ ترَ الكثيرين ممن سلكوا طريقه ودربه، إنتظرْ ترَ الأمل يُزهر في عقول كل مَن عرفه وقلوبهم.

القضيَة ليست قضية عدم اقتناع بفكره وشخصه إنّما هي أبعد من ذلك بكثير... إنّها قضية صراع بين أهل الظلم وأهل النور التي عرفتها البشرية عبر العصور.

نعم، فمُطلِق الرصاص على طَموح ليس قاتله الفعلي والقاتل الفعلي هو من أعطى الأمر بالقتل، من أراد قتل النهج والفكرة لأنّه خاف من أن تُكشف عيوبه أمام استقامة الوطنيين.

يا غدّار، قد أصبحت على يقين أنّك القاتل، وأعلم أنك لست العقل المدبر،

وتأكّد أنّني أؤمن بلعبة القدر. فلو شاء القدير إنهاء حياة طَموح في تلك اللحظة، وإن لم يمت رميًا بالرصاص لمات جرّاء حادث ما قضاءً وقدرًا.

لهذا فليكُن جزاؤك في السماء، أنا لا أكترث لجزائك على الأرض. ما يهمّني هو كشف كبار المجرمين في القضيّة لا أداة الجريمة الفاسدة والخائنة.

إنّي على استعداد لمساعدتك والوقوف إلى جانبك في حال قدّمت لي اعترافًا كاملًا لأضمن لك أحكامًا مخفّفة نتيجة تعاونك مع التحقيق.

أقسم لك أنَّ ما يعنيني هو نهج شقيقي طَموح الذي يخلّده حتّى أحميه من القتلة والحدّ من بطش أهل الشر، ولا رغبة لي في الانتقام. قد تعلّمت من شقيقي طَموح التسامح، إنّ كلّ شيء في هذا الكون مُقدّرٌ ومكتوب، وما علينا إلا أن نعيشه بسلام ومحبّة وفرح.

لا أريد منك أيّة إجابة الآن. أريدك أن تفكر في والدتك وبلدتك ووطنك. إلجأ إلى ما تبقّى في داخلك من ذرّات خير، لأنني أرى في عينيك ضميرًا يصحو – وكانت حريّة تذرف دمعها مدرارًا – فمسحته ونظرت إلى غدّار لتقول له:

كلّي أمل أن تجد روحك الخلاص يا غدّار، وكما ذكرت لك سابقًا أنا على استعداد لمساعدتك، إن كان قرارك في صالح الخير.

خرجت حريّة وطلبت من المحقّق التوسّع في التحقيق ليشمل كلّ السوابق التي اتُّهم بها غدّار أو أوقف لأجلها، كما أنها طلبت منه جمع قدر المستطاع من المعلومات عن علاقاته والتزاماته السياسية والاجتماعية، فهي تعتقد أنّ جهات مخططة قوية ولديها سلطة خلف مقتل شقيقها طَموح، وبأنّ غدّار ليس إلا أداة رخيصة أتمّت الجريمة.

عـادت حريّة إلى منزلها مغتبطة، منتظرة عـودة زوجهـا مـن السفر. وإذا بمتعـالي يعود فرآهـا والسعادة والأمـل يرتسمان على معـالم وجههـا النـاعم. فسـألها عـن سبب الفرحة الزائدة، فما إعتاد رؤيتها على هـذه الحال حتّى في يوم زفافهما. فقالـت لـه:

- يا زوجي العزيز، كـنْ أكيـدًا أنّ العدالـة لا تضيع أبـدًا مـا دام فرسان الحـقِّ حاضريـن.
- عن أيّة عدالة، عن أيّ حقٍّ تتحدّثين؟
- حقّ شقيقي طَموح!

صُدم متعـالي ممّـا سمعه، وبدا على وجهـه الاستغراب والتعجّب. فقـال: ومـا الجديد في قضيّة شـقيقك طَمـوح يا حريّة؟

- حبيبي، أعلم أنّك فرحت لما سمعته وأصابك الذهول، فقـد أصابك مـا أصابني. إنّ القضيّة لم تنتهِ ولم تثبت التهمة. والمجرم لم يعترف بعد، حتّى هذه اللحظة. لكن اليوم تمكّنت الشرطة من اعتقاله، وهـو رهن التحقيق. وأنا متأكـدة أنهـم سيحملونه على الاعـتراف بالجريمة.
- كيـف علمـتِ أنـت عـن كلّ هـذه التفاصيـل، ومـن أيـن لـك كلّ تلـك المعلومات، هل تعرفين المجرم؟ وكان قد أبدى متعالي اهتمامًا كبيرًا في معرفة مجريات ما حدث، وآخر المستجدات عن قضية الإغتيال... فهو في نهاية المطاف صهر طَموح.
- نعم يا زوجي العزيز، قد أعدنا فتح القضية من جديد ولأسباب عديدة. أهمّهـا أنّي أصبحت قاضية بعد نجاحي وتفوّقي في الامتحانـات في معهـد القضـاء. وهـذه هي المفاجأة التي حضّرتها لك لأطلعك عليها بعيد عودتك.

كمـا أنّ رئيس مركز الشرطة الجديد «إلتزام» كان صديقًـا لطَمـوح وتعهّـد لي بمتابعة قضية إغتيـال شـقيقي حتّى النهاية وجـلاء الحقيقة كاملة. وابـن عمـي

شجاع قد تذكّر أحداثًا مهمّة حين تعرّف صوتَ غدّار...

- غدّار؟!

- نعم، يا حبيبي. غدّار ابن قريتنا هو المشتبه الرئيس في القضية.

- كيف؟ لماذا؟ أنا لا أفهم شيئًا. كيف حصل كلّ ذلك بعد سنوات مضت على اغتيال طموح؟

- إنّ خالق الكون يُمهل ولا يُهمل، ولا بدّ أن تتحقق عدالة السماء باسم الحقّ على الأرض. لكن إهدأ يا حبيبي ولا تتضايق، أنا متأكّدة أنّنا سوف ننال منه بسيف القانون.

- إن كان ما تقولينه صحيحًا يا حريّة، فتأكّدي أنّني سأجعل غدّار يندم على فعلته، وسأحرص على أن ينال العقاب اللازم. والآن أعذريني يا حبيبتي، عليّ أن أغادر.

- لكنّك قد حضرت للتوّ! فإلى أين تعتزم المغادرة؟

- سأذهب لأجتمع ببعض المسؤولين الحكوميين فقد كنت في مهمة دبلوماسية رسمية، وعلي أن أقدّم تقريري.

- هل من الممكن أن ينتظر تقريرك حتّى الصباح؟

- لا يا حبيبتي، لا. أَمسك برأسها وقبّلها من جبينها وتابَع قائلًا إنّ مسألة التقرير هي قضية حياة أو موت. وهمّ بالرحيل.

لم يعد حتّى ساعة متأخرة من ذاك المساء وكانت حريّة قد استسلمت للنوم.

وفي اليوم التالي تابعت تحضيرها ملف القضية، وكانت على تواصل دائم مع المحقّق إلتزام في متابعة لتفاصيل التحقيق. فقد كانت الأمور على حالها حتّى تلقّت اتّصالًا يعلمها بأمر هامّ حَدَثَ سيأتي بنتائج قد تخدم التحقيق.

- ما الجديد في القضيّة يا حضرة المحقّق؟
- أمسِ ألقت دورية من الشرطة القبض على رجلٍ كان قد افتعل إشكالًا في حانة، في ساعة متأخّرة من الوقت. وبعد أن اقتادته الدورية إلى المركز للتحقيق معه، وضعوه في غرفة الحجز وحين رأى غدّار جُنّ جنونه وبدأ بالشجار معه، على خلفية بيعه له سلاحًا بسعرٍ مرتفع منذ بضعة أيّام.
- أتفكّر في ما أفكّر حضرة المحقّق؟
- نعم. ربما حالفنا الحظّ لتقرّر السماء مساعدتنا في كشف الحقيقة.
- أتعتقد أنّ غدّار باع السلاح الذي قتل به شقيقي بعد أن شعر بالخوف من أن يُقبض عليه لإخفاء سلاح الجريمة؟
- ربّما... هذا ما أعتقده.
- وما الخطوة التالية؟
- قد حقّقت شخصيًا مع ذاك الرجل في الصباح الباكر، وسألته عن سبب شجاره مع غدّار، وعن مسألة المسدس تلك. فاعترف ومن دون أيّ ضغط أو إكراه، بأنّه قد التقى غدّار منذ بضعة أيام في حانة في وسط البلد، وقد باعه سلاحًا غير مرخّص وبسعر مرتفع وقد كان هذا الأخير في حالة سكر، متّهما غدّار بالاحتيال.

وقد أطلعنا على مكان المسدس فذهب رجالي لإحضاره. وبعد استحصالنا عليه سنسلّمه لمختبراتنا حتّى يحلّلوا البصمات ويقارنوا السلاح ونوعه بالرصاصات المستخرجة من جسد طَموح، وفي حال ظهرت بصمات غدّار أو تطابقت الرصاصات التي أصابت شقيقك مع السلاح، فنكون قد حصلنا على سلاح الجريمة كدليل قاطع لإدانته.

- لكن يا حضرة المحقّق إنّي أستغرب هذا الأمر برمّته. فمجرّد التدقيق في التفاصيل ومجريات الأحداث يعتريني الشكّ. فمسألة افتعال الإشكال في

حانة ضمن نطاق عملكم، وبعد يوم من اعتقالكم غدّار، ومسألة هدوء ذاك الرجل واعترافه بمعلومات خطيرة قد تودي به إلى السجن مباشرة يزيدان الأمر غرابة...

- سنجري تحقيقًا موسّعًا وننتظر نتائج التحقيق. وسأطلعك على مجرياته بتفاصيلها يا حضرة القاضية.
- إذًا سأمرّ بمكتبك في المساء لتطلعني على المستجدات في التحقيق كي أضيفها إلى ملف القضيّة.
- أنا في إنتظارك مساءً.

أنهت حريّة يوم عملٍ طويل، ولم تجد حتّى بعض الوقت لزيارة مركز الشرطة والوقوف على مستجدات قضيّة اغتيال طَموح. وفي المساء سألها زوجها:

- حبيبتي، هلا أخبرتني عن الجديد في قضيّة اغتيال طَموح؟ هل إعترف غدّار؟
- لا يا زوجي العزيز، لم يعترف بعد، لكنّ أحداثًا كثيرة استجدّت وبشكل متسارع. كأنّ الخالق يريدنا أن نكشف الحقيقة وبأقصى سرعة. فهذا أمرٌ لا يُصدق.
- أخبريني التفاصيل حبيبتي. ما الجديد في القضيّة؟ فأنا كثير الاهتمام بكشف الحقيقة. ربما إستطعت أن أخدم التحقيق، لعلّني أنصف روح طَموح اليوم إذ أنّني لم أنصفها في شبابه.
- ولماذالم تنصفه في شبابه؟
- لا شيء... لا شيء يا حبيبتي ... فقط لأنني لم أكن إلى جانبه، ولم أؤمن بصوابيّة نهجه وبإمكانية نجاحه كشاب عصامي لا يملك إلا جرأة لا مثيل لها وثقافة واسعة وفكرًا راقيًا.

- كلّ ما ذكرته من جرأة وثقافة وفكر إن وجد في الإنسان أتمّ عالمه كلّه.
- طَموح كان شابًا استثنائيًا... والآن أخبريني عن جديد قضيّة إغتياله.
- حبيبي أنا جدّ متعبة، وسأطلعك على كل جديد غدًا على العشاء مع العائلة. لا تنسَ فنحن مدعوون إلى العشاء في دار العائلة.
- لن أنسَى فأنا مشتاق لقضاء بعض الوقت معهم في القرية. هناك أجد عالم السلام والأمان في ربوع الأحباب والأوفياء. تصبحين على خير يا حبيبتي... وقبّل جبينها كعادته وغفا في سبات عميق.

لم تستطع حريّة أن تنام طوال الليل، فقد أرّقتها الأخبار الجديدة. وصارت تشعر أنّ عاصفةً هوجاء قادمة نحوها وتمكّن الخوف منها. لكنّها تذكّرت وصيّة شقيقها وصفاته فتحصّنت بالجرأة من جديد واستمدّت القوة من ذكرياتها.

في صباح اليوم التالي، هاتفت حريّة المحقّق وأخبرته أنها آتية لزيارته في مركز الشرطة. وهناك حين وصلت كانت المفاجأة! دخلت حريّة المكتب فوجدته يرتشف قهوته، ويدخن سيجارته، قلقًا مرتبكًا والقهر بادٍ عليه، كأنّ هموم الدنيا تثقل كاهله، وهو ينتظرها بفارغ الصبر.

- ما الجديد حضرة المحقّق؟ لم تبدو عليك علامات الحَيرة؟
- إنّ ما حصل اليوم غريب. القضيّة تتشعب وكلّما فككنا عقدة أضيفت إليها عقد أُخرى! أمس وجدنا السلاح وأرسلناه إلى المختبر. وفي الوقت عينه طلبت غدّار لأحقّق معه، فسألته إن كان يعرف ذاك الرجل قبلًا فأجاب بالنفي. وعندما سألته عن السلاح، قال لي إنّه لم يبعه شيئًا وهو لم يره في حياته. ولاحظت على وجهه غضبًا شديدًا وصدقًا في عينيه مرعبًا. وحين وصفت له السلاح وأطلعته على نوعه عرفه مباشرة، ثمّ إنّنا أرسلنا المسدس إلى المختبر لتحليله واستخراج البصمات عنه ومقارنة الطلقات التي أصابت جسد طموح مع ما وجدناه فيه.

- وماذا بعد، أين العقد التي تحدثت عنها؟ وما كانت نتائج تحاليل المختبر؟ أطلعني بسرعة على ما لديك لو سمحت.

- إسمعيني يا حريّة. لقد وجدنا بصمات غدّار على السلاح كما أننا وبعد فحوصات دقيقة، تأكّدنا أنّ الرصاصات التي استُخرجت من جسد طَموح مطابقة لرصاصات السلاح عينه.

- رائع، رائع! ما أجمل هذا الخبر! وأخيرا سأستطيع إنصاف روح شقيقي وسأقاضي الجاني بنفسي.

وكانت حريّة قد وقفت مغتبطة ترقص من شدة فرحها لإكتشاف القاتل الحقيقي، لكنّها أبصرت حزناً في عيني المحقّق، بعدما لزم الصمت وأحنى رأسه يائسًا...

- ما بالك أيها المحقّق، ألن تفرح مثلي لجلاء الحقيقة واكتشاف القاتل الحقيقي؟

- حريّة... آسف لإخبارك أننا اليوم صباحًا وجدنا غدّار منتحرًا في زنزانته مستعملًا غطاء سريره.

صعقت حريّة بالخبر، ووقعت أرضا كأنّ سكّينًا أغمدت في قلبها. لم تصدّق ما سمعته ولم تنطق بأية كلمة.

- أأطلب لكِ أمرًا؟

حاول المحقّق تهدئة حريّة وقدّم لها الماء. وبعد هنيهة، استعادت وعيها ونشاطها ثمّ تمالكت أعصابها وسألته:

- لماذا انتحر؟ لماذا لم تتسنَّ لي فرصة كشف الحقيقة للعلن كاملة وأقفل بحكم محكمة ملف قضيّة شقيقي طَموح؟ أخبرني لماذا، بربّكم لماذا؟

- نحن حتّى هذه اللحظة نحقّق في ملابسات انتحاره، لا سيّما أن التهمة

ثابتة عليه. فحتّى لو انتحر، ففي جعبتنا أدلة وقرائن تخوّلنا إثبات التهمة عليه. فلا يمكنه أن يفلت من عقاب السماء حتّى لو اعتقد أنه أفلت من عقاب الأرض.

- أيّها المحقّق إنّ أمرًا غريبًا يتملّكني. فما حصل في هذه القضية أكبر مما تراه أعيننا وأكثر ممّا تسمعه آذاننا.

- إلام تلمّحين؟

- هل تأكّدتم إن كان غدّار قد انتحر؟ أيعقل أنّ أحدهم أقدم على قتله؟

- قد كان غدّار وحيدًا في زنزانته طوال الليل، وما دخل أحد بعد انتهائي من التحقيق معه، وهذا ما تظهره عدسات المراقبة. جثّته الآن في المشرحة، ونحن في انتظار تقرير الطبيب الشرعي.

- أرغب في مشاهدة تسجيلات كاميرات المراقبة فأنا أحتاج إليها لأقنع نفسي بمجريات القضيّة برمتها ولدي شكوك كثيرة تدور في رأسي أريد حقًّا التخلّص منها.

- بالطبع تفضّلي معي.

ذهب المحقّق برفقة حريّة إلى غرفة المراقبة، وطلب من المسؤول أن يعرض شريط مراقبة العنابر من الليلة الفائتة، وتحديدًا العدسة التي تراقب غرفة حجز غدّار.

فعند الساعة الثالثة وعشر دقائق بعد منتصف تلك الليلة، إقترب الحارس من باب حجرته بعد أن طلبه ذاك الأخير، فتحدث معه قليلًا ثمّ غادر ليحضر له ماء. ارتشف رشفة صغيرة ودار حديث معه ليرحل بعدها الحارس. ولم يقترب أحدٌ من غرفة حجزه إلّا في الصباح الباكر حين أتى الحراس لاصطحابه إلى التحقيق ليدركوا أنه انتحر...

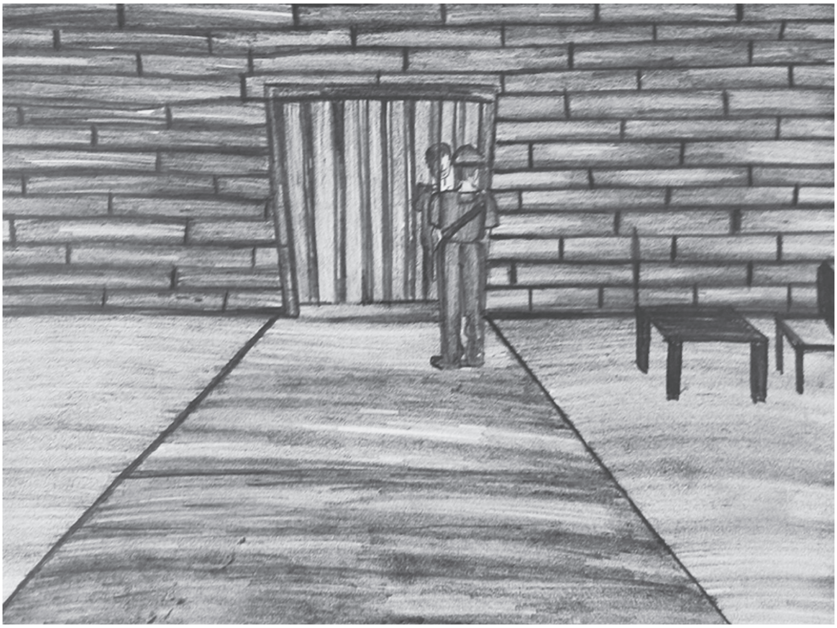

- هل تحدّثت مع الحارس؟
- لا سبب دفعني إلى التحدّث معه فقد رأينا شريط تسجيل المراقبة. وعند سؤالنا له قال إنّ غدّار طلب أن يحضر الماء فاستجاب له. وهذا ما حصل.
- لكن لاحظنا عبر إعادة عرض المقطع المسجل أنّ غدّار تحدّث إلى الحارس فترة تفوق الفترة التي يحتاج إليها لشكره على الإستجابة لطلبه بجلب الماء. فلا بدّ أنّ ما قاله له كان هامًّا وقد يخدم التحقيق... وخصوصًا أنّه يدرك وجود كاميرات المراقبة مقابل عنابر الحجز. فعلًا أيها المحقّق يعتريني القلق وتتملكني الحيرة.
- تستحقّين حقًّا منصب المدعي العام فلديك الكثير من الحكمة والذكاء، ولا تكفّين عن سَبر أغوار الحقيقة.

- شكرا سيادة المحقّق، إذا هلّا سمحت لي بالتحدّث إلى الحارس؟
- يا شباب أحضروا الحارس. أسرعوا لو سمحتم.

حضر الحارس وهو آخر من رأى غدّار وتحدّث إليه لتسأله القاضية عن الليلة الفائتة.

- أخبرني ماذا حدث أمس حين قدّمت الماء للسجين؟
- لا شيء يا سيدتي، فقد سئلت السؤال عينه من قبل!
- وماذا حصل؟ أخبرني لو سمحت.
- ناداني غدّار بعد منتصف الليل، ما يقارب الساعة الثالثة فجرًا، وطلب أن أحضر ماء... ففعلت.
- وهل لاحظت عليه شيئًا غريبا؟
- أبدًا فقد كان هادئًا جدًّا على غير عادته.
- على غير عادته! إذا هذا أمر يفترض أن تلحظه. أخبرني يا سيدي الحارس، كم عمرك؟ هل أنت متزوج؟ كم لديك من الأولاد؟
- وما علاقة وضعي العائلي بما حصل يا سيدتي؟
- أجب القاضية ولا تردّ السؤال بشبيهه. قال المحقّق إلتزام وهو يرمقه غاضبًا.
- فتدخّلت حريّة: أرجوك يا سيادة المحقّق، إسمح لي أن اتابع طرح أسئلتي عليه فهو قام بواجباته كلّها، ولعلنّا معه نجد ما يساعدنا في حلّ قضيتنا.
- قد قاربت الخامسة والخمسين من العمر، وأنا متزوج ولي خمسة أولاد...
- سيّدي، لا أعجب إن كنت قد نسيت بعض التفاصيل الصغيرة من مساء أمس، لأنه ومن الواضح أنّ الدنيا أثقلت عليك بهمومها. فهموم العمل والعائلة والضغوطات الاجتماعية وكذلك تربية خمسة أولاد كفيلة أن تجعلك

تشرد بذهنك خارج أسوار مقرّ الشرطة، لتسرح في مصاعبك. أيها المحقّق قدّموا الشاي له لو سمحتم. أعتقد أنه بحاجة إليه ليهدأ فيساعدنا في حال تذكّر شيئًا...

- حسنًا، أحضروا الشاي لزميلكم يا شباب.

- لا تخف يا سيدي، لست متّهمًا بشيء، وسيرتك الذاتية قد إتطلعت عليها قبل حضورك، وقد أثبتت لي أنك رجل عصامي خلوق ملتزم القوانين ومتفانٍ في عملك. لكنّني وبعد مشاهدتي شريط المراقبة، لاحظت أن غدّار حدّثك لهنيهة بعد أن أحضرت له الماء، فشعرت أنّ هنالك أمرا أرادنا أن نعرفه أو نلاحظه. وأتمنّى منك أن تساعدنا.

- تفضّل الشاي...

شرب الحارس الشاي، ونظر إلى حريّة وأدمع. فسألته حريّة:

- لمَ تبكي، أأسأت إليك بأمرٍ؟

- قطعًا لا، لكنّني أنظر إليك وأتمنّى أن تشبهك ابنتي. أنت مصدرُ فخر عائلتك واعتزازها. وعلى الرغم من أنك قاضية وتفوقينني نجاحًا ومركزًا، إلا أنك تنادينني بـ»سيدي الحارس». وأسلوبك اللبق واحترامك عمري، وقد فاق عمرك بسنوات كثيرة، يجعلاني أعجب بكلّ ما تكونينه. حبذا لو يُقدَّرُ لي أن أعيش لأرى ابنتي فتاة ناجحة مثلك.

- أشكرك يا سيدي الحارس على ما قلته، هذا كلّه يوضح سمات أصالتك وأخلاقك السامية النبيلة... ولا بدّ أن يُكرمك الله لترى فتاتك ناجحة فتفتخر بها. والآن دعنا نعود إلى ليلة أمس... أرجوك أخبرني تفاصيل ما جرى بينك وبين غدّار... أرجوك تذكّر أيّ شيء... أيّ شيء بل كلّ شيء.

- سأحاول أن أتذكره جيّدًا لأجلك يا سيدتي. لقد ناداني غدّار حينها، وعند

وصولي إلى باب غرفة الحجز. سألني من النافذة قائلًا: «أيها الحارس، إذا كنت تشعر بالعطش ماذا تفعل؟ فأجبته: أشرب الماء». وكنت أسأل نفسي لما عساه يمازحني الآن وهو سجين خلف القضبان! فقال لي: وإذا كنت تعلم أن الماء حقيقة والحقيقة ليست أمامك فماذا تفعل؟ أجبته: سأبحث عنها. حينها قال لي: إذا أرغب في كأس ماء تقدّمها لي لو سمحت.

وكان حديثه أشبه بدعابة سمجة على الرغم من هدوئه. وإذا كان بحاجة للماء فلماذا لم يسألني مباشرة بدل اعتماده المواربة في حديثه.

- أكمل... أكمل حديثك. ماذا قال لك بعد أن أحضرت له الماء؟ وكانت علامات التعجب والدهشة قد بدأت تظهر على وجه حريّة.
- أخذ الكأس من النافذة ثمّ أعادها إليّ بعد أن ارتشف القليل منها، فناداني بعد أن هممت بالرحيل عنه: أيّها الحارس، فعدت إليه وقلت له: ماذا تريد الآن؟ قال: وفي حال وجدت الماء أيّ الحقيقة، وشربتها وشعرت أنّ فيها أمرا غريبًا. فماذا تفعل؟

بداية استهزأت بأسئلته فرجاني أن أجيبه. فقلت له: أبحث عن مصدرها لأرى ان كان نقيًا. فقال عندها: قد شربت من يدك الماء وما أحسست فيها طعمًا أو لذّة. وقد شارفت على الرحيل، فإذا كنت أنا قد سقيت بعض الناس الذين عرفتهم ماءً بطعم العلقم، وأرادوا ان يعلموا الحقيقة وأنا لم أطلعهم عليها. فعليهم أن يبحثوا عن المصدر، وعليهم أن يبحثوا جيدا كي يرتووا. وتبّسم وعاد إلى سكوته. هذا كلّ شيء لا أذكر شيئا آخر.

صدمت حريّة مما سمعته، ووقفت ونظرت إلى للمحقّق نِظرة أمل وفرح.

- سألها المحقّق: لم وقفت على وجه السرعة؟ ما الذي استنتجته من كلام الحارس حتّى تفرحي ويعود بريق الأمل إلى عينيك؟

- شكراً جزيلا يا سيدي الحارس.... وتوجّهت إلى المحقّق قائلة: علينا تفتيش غرفة حجز غدّار. قالت حريّة تلك العبارة وعيناها تبرقان حماسة.

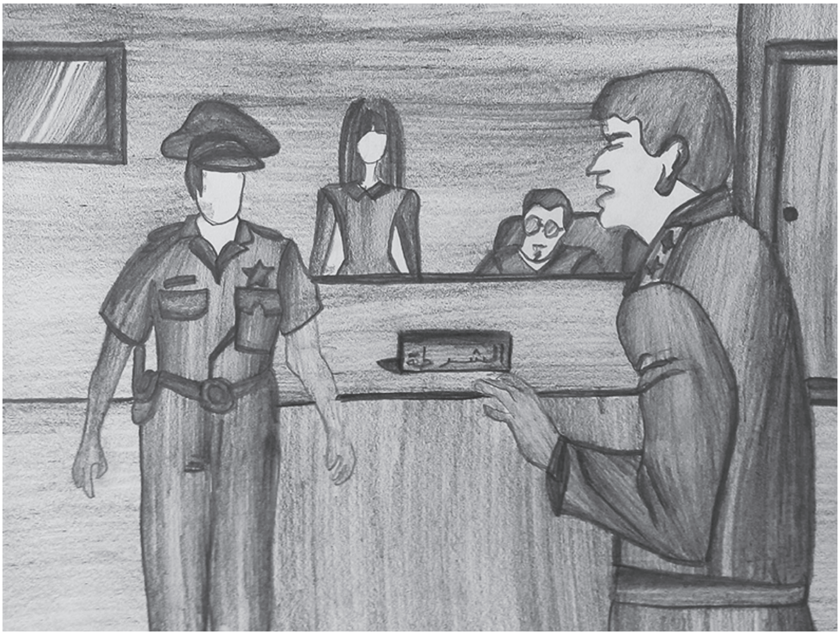

- كيف ربطتِ كلام الحارس بضرورة تفتيش غرفة حجزه؟
- إنّ ما اعتبره الحارس أمرا عاديّا، فهمته رسالة مُضمَرة من غدّار بعد أن عزم على الانتحار. فإذا ما صحّ حدسي، فإنه أراد أن ينتحر بعد أن شعر بالندم على أفعاله، وقرّر كشف الحقائق كلها. وأراد أن يتأكّد من وصول الحقيقة إلى أيدٍ أمينة، لأنه ما كان ليثق بالحارس وما كان لينتظر الصباح ليحدّثك لكي يطلبني، فيخشى أن نردعه عن فعلته...

لذا لا بدّ أنه ترك لنا رسالة سريّة، فهو يعلم بوجود كاميرات للمراقبة في

الردهة. وإذا راقبت شريط العرض جيدا ستدرك أنّه في المرتين اللتين تحدث فيهما إلى الحارس كان ينظر أولا ليتأكّد إذا كانت كاميرا المراقبة بضوئها الأحمر الصغير تلتقط حواره معه.

- يا لدقة الملاحظة وسرعة البديهة! كلّ ذلك ما لاحظناه وما أدركناه، ولعلنا صدمنا وأُخذنا بانتحاره، فما اكترثنا بالتفاصيل الصغيرة. فعلا إنّك الشخص المناسب في المكان المناسب.

هيا يا شباب، فلنذهب سويا لنفتش غرفته التي قضى فيها آخر لحظاته. إنتبهوا وابحثوا جيدا ربما عن ورقة، أو رسالة على الحائط أو أيّ أمر مخبّأ. إبحثوا جيدا هيّا..هيّا.

ذهب المحقّق إلتزام بصحبة رجاله لتفتيش غرفة الحجز، بينما انتظرتهم حريّة في المكتب. وبعد دقائق مرّت كدهور عليها، دخل المحقّق مكتبه قائلا لها:

- أتعجّب لفطنتك! أتعجّب لرجاحة عقلك يا سيدتي! كيف لاحظت أمورا لم نلحظها؟
- أخبرني! هل وجدتم شيئًا؟
- أبدا... لم نجد شيئا... غير هذا الظرف تحت الفراش. ورفع ظرفا مختوما فوق راحتيه...

أصيبت حريّة بالذهول فسلّمها المحقّق المغلف في يدها، وقد كُتب عليه بالخطّ العريض: «**براثن وأقدار**».

فتحت حريّة بسرعة الظرف، فوجدت رسالة من بضع أوراق كتبت بخطّ اليّد، فأخذت تقرأها وجاء فيها:

رسالة إلى مَن يستحق. كتبتها لأنصر قضية الحقّ. كتبتها لأجل الحقيقة.

إلى مَن حملت الحريّة اسمًا، إلى شقيقة الحلم، شقيقة المغدور طَموح الذي فارق

عالمنا الفاني عزيز النفس، رفيع الشأن، رجلا لا يعرف الخوف حتّى من الموت، وقد غدرته بيديّ الآثمتين.

أتوجّه إليك يا سيدة حريّة، بحروف الصدق، وكلّي خجل من إنسانيتك. لأنك أنتِ الوحيدة التي أصابتني بسهام الحقّ، ليصحو ضميري فيؤنبني ويعذّبني. أعترف أنّ روحي ما عرفت السلام وما اختبرته يوما إلا بعد أن بدأت كتابة هذه الرسالة، وقد عزمت على الرحيل من هذه الدنيا وأنا على يقين أنّني أفعل الصواب ولو لمرّة أخيرة في حياتي.

أعتذر مسبقًا لما ستقرئينه في رسالتي ولقساوة مضمونها إلّا أنه من واجبي قبل رحيلي أن أقرّ بذنوبي، وأفضح جرائمي والمجرمين الذين عرفتهم، وعلى الرغم من يقيني أنّ عدالة السماء لن تغفر لي، غير أنني سأكون مرتاحًا في مثواي فقد أُنصفك وأنصف إنسانيتك.

في حوارنا منذ أيّام ذكرت لي أمورًا إنسانية عديدة أثلجت صدري وعقلي، وكان لتلك الكلمات الفضل في حثّي على الإعتراف وتصحيح المصير لا المسار. قد قلتِ لي يا سيدتي حريّة: «**إنّ لكل فردٍ منّا مهمة في هذه الحياة، وقد أتى إلى العالم ليتمّم مهمته ويرحل، فكلّ منّا أداة للقدر...**» فكم أتمنى أن يكون ما في رسالتي هذه خير سبيل لفضح الشرّ والأشرار وإنصاف الأخيار.

حين حدّثتني عن أمّي وأنّ مَن لا خير فيه لوالدته وقد أبصر النور في خروجه من رحمها، ولم يحترم وضعها ومكانتها، لا خير فيه لنفسه ولا يحمل ذرة احترام، صدقتِ وأصبتِ في ما قلت من جديد. ولأنّني ما استحققت عطف والدتي ولم أعاملها بالحسن والوفاء لم أوفق قطّ.

هي في حياتي نعمة لم أعرف قيمتها، لهذا لم أعرف نعمة السلام والخير. وما كانت كتابتي هذه الرسالة إلا لأجعلها ترضى عليّ حتّى بعد رحيلي، فلعلني أعرف السكينة حيث أرقد بعد أن افتقدتها في حياتي.

لذا أرجوك أن تعلميها توبتي حتّى ترضى عليّ فأجد السلام في دنيا الآخرة بعد أن فقدتها في دنيا الوجود، واعلميها أن روحي ستشتاق لها دائما وأبدا، وأنّني نادم على كلّ دمعة ذرفتها من أجلي، وأرجو ألا تذرف دمعها لرحيلي فأنا لا أستحقّه.

يا سيدتي القاضية، قد ذكرت لي أيضًا: «إنّ الوقت لا يفوت أبدا على التوبة، لأنّ نور الحقيقة أقوى وأعتى من أي ظلمة، مهما طالت عتمة الليل في عمر الإنسان. قد عشت حياتك في دهاليز المآسي والأحزان». فتأكدي على الرغم من أنني لم أبدِ أيّ اهتمام بكلامك حينها، وربما استهزأت به إلا أنّه دخل دخول الأشباح إلى قلبي وعقلي، فشعرت برعشة ما أحسست بها من قبل... شعرت أنّ الموت يناديني، وشعرت بسخافة الحياة، وهشاشة مكانتي الإجتماعية، وضعف ارادتي وعزيمتي، وقصر طموحي، ودناءة فشلي.

كلّ كلمة من كلماتك كانت تنزل عليّ كالصاعقة، لتدفع في جسدي الفاني موجات من صحو الضمير، دفعتني لأتمنى الرحيل فقرّرت إنهاء حياتي. ولكن قبل ذلك، عزمت على إنصافك وإنصاف شقيقك الوطني الأصيل طَموح.

قد صدقِت يا سيدتي، أعترف أنني لم أعرف الفرح الصادق في حياتي، وكم أتمنى ألّا يفوت الأوان على توبتي، وأنني سأبصر نور الخير ولو لمرة في عمري حتّى ولو كان باهتًا. وليكن اعترافي هذا آخر أمر صائب تقوم به روحي الآثمة.

قضيتك إنسانية محقّة ولا بدّ لها أن تنتصر، أتمنّى أن أهبك السيف الذي ستقاتلين به المجرمين والقتلة الحقيقيين. نعم، لم أكن إلا أداة للجريمة... لم اكن إلا خنجرَ غدرٍ في يد القاتل الحقيقي. إنّ شقيقك كان صادقًا ورجلا مثقفا وطموحا. شقيقك طَموح أحبّته الناس، وآمنت بنهجه وخطه.

فهل تعتقدين أنّ من شابه شقيقك له أيّة فرصة بالبقاء في زمن الغدر والنفاق وأبواق التبعية والمذهبية؟ أنا لا أظنّ ذلك.

قد أذنَبَ شقيقك وكان ذنبه جليًّا، ذنبه أنّه كان نموذجًا راقيًا لتمثيل الناس لا للتمثيل عليهم. ذنبه أنه مواطن أصيل أحبّ وطنه بصدق وناصر الحقّ حيثما كان. ذنبه أنه عاند الطائفية رغم التزامه بثقافته وعقائده الخاصة، واحترم الآخر كائنًا مَن كان، وتقرّب من الكلّ. ذنبه أنه كان سياسيًا على مساحة الوطن ولم يكن سياسيا مناطقيا، وهذا ما لم يدركه الأغلبون من الساسة.

شقيقك أذنب يوم أصبح محطّ اهتمام أهل قريتك ومرجعيتهم، وهل تتوقعين من ساسة بلدتك أن يقبلوا شخصًا عصاميًّا يأخذ تبعية الناس منهم، ليجعلها إلتزامًا حقيقيًّا معه وليس من أجله...

ها أنت الآن وفي هذه اللحظة تتوقّعين ما ستقرئينه... أخاف أن أقول لك إنّك على حقّ... فإن سألتك يا حريّة مَن كان المرجع السياسي والاجتماعي الأبرز في قريتك، فهل تعرفين؟ إن سألتك مَن حصد ما حصد من مال ومناصب من دون عناء أو شقاء، وقد شعر بالغيرة والحسد من عصامية شقيقك فهل تستنتجين؟

يا حريّة قد قتلتُ شقيقك بيديّ. لكن أحقًّا تعتقدين أنّ فعلي جاء من تلقاء ذاتي وكامل قناعتي؟ قد قلتِها لي: **أنتَ أداة الجريمة التي أودت بحياة طَموح**. وأعتذر لك على قساوة اعترافي. فالقاتل الحقيقي شخص واحد مخطّط آمرٌ وناهٍ، وأنت تعرفينه حقّ المعرفة، بل تعيشين معه! نعم. إنّه زوجك... زوجك متعالي...

فصرخت حريّة بصوت شقّ الصمت الثقيل «لا مستحيل» وتساقط الدمع يكوي وجنتيها، فعمد المحقّق إلتزام إلى تهدئتها محاولًا نزع الأوراق من يديها إلا أنها أبت وتابعت القراءة ليكمل غدّار رسالته:

قبل رحيل شقيقك بأشهر، أرسل في طلبي المسؤول متعالي، وقد كان حينها ذا شأن ونفوذ، لا تُرفض له كلمة في الدولة. وغالبًا ما كان يكلفني بمهمات غير سوية مشينة في حقّه وحقّ مجتمعه.

لكنني كنت أتقاضى منه على أعمالي تلك المال الوفير. وذات يوم حضر مرافقه إليّ بسيارة سوداء داكنة اللون، واحدة من سياراته العديدة، وأقلّني إلي بيت قديم مهجور يبعد مسافة عن قريتنا، وكان الليل قد حلّ.

بعد أن توقّفنا، طلب السائق أن أعطيه هاتفي وساعتي وكلّ ما أملك من سلاح أو غيره... فاستغربت، وقلت له لا أملك أيّ سلاح ورفضت طلبه. وإذا بمتعالي يفتح الباب ويسألني الترجّل بعد أن أصرّ على أن أعطي مرافقه كلّ ما تحويه جيوبي.

فعلت ما أمرني به وترجلّت من السيارة ورافقته إلى داخل ذلك البيت غير المأهول.

أبصرته بهيئة متوحشة فشرع يحدّثني:

«يا غدّار، أتيت بك إلى هنا في هذه الظروف الغريبة لأطلب أمرًا هامّا فيه مسألة حياة أو موت... إن جرت المهمّة المطلوب تنفيذها كما أبتغيها فسأمنحك بعدها بيتا ومالا وفيرا وعملا راقيًا، وسأؤمن لك حصانة اجتماعية سياسية مدى الحياة لكنّ الشرط يبقى في إتمامها بشكل حاسم ونهائي.

وسألت زوجك يا سيدتي ماذا عليّ أن أفعل حتّى أستحقّ كلّ هذه النعم والحوافز. فردّ قائلا: ما عليك إلا أن تقتُلَ... فصدمت ممّا سمعته، وقلت له: صحيح أنّني أقدمت على أفعال كثيرة مخالفة للقانون، إلا أنّني لم أفكر في القتل يومًا، فتلك مهمّة لا أريدها ولا أقوى على القيام بها.

إلا أنه أصرّ وتابع حديثه: هل فكّرت في مستقبلك؟ فإن رفضت فلن أكلفك

بأيّ أمر بعد الآن، ولن أدفع لك أي مال، ولن أساعدك أبدا. إنّما سأحرص على إفقارك وسجنك، ولن يردعني شيء عن قتلك في حال أردت...

أمّا في حال أتممت هذه المهمة فسأجعلك تحيا جنّة النعيم على الأرض وسأمنحك ما لم تحلم به من قبل. وكانت عينا زوجك يا حريّة قد جحظتا خارجًا كعيني الشيطان، فتأكّدت أنّ كلامه حقيقي ولا لبسَ فيه.

لذلك وافقت فسألته: ومَن تريدني أن أنهي حياته؟ سألته والخوف يكبّلني. فأجاب بنبرة الشرير: طَموح. فتراجعت خطوتين ووقعت أرضًا متفاجئا وكأنني ولدت أبكم وما استطعت الكلام. قالها بقسوة، وبعد أن عرفت ماهية مهمتك لا يسعك التراجع الآن فإما أن تَقتل وإما تُقتل، عليك أن تختار.

فسألته عن الدافع لقتل ابن قريتنا وهو ما أذانا يومًا وعن الذنب الذي اقترفه. فأجابني: يكفي أنّه سياسيّ صادق والناس تحبه. وإنّ وجود أمثاله في العالم السياسي ينبّه الناس وينشر الوعي في عقولهم ليتبيّنوا حقيقة أدائنا الفاسد وجوهر سلطتنا.

فهل أصبح قتل كلّ مَن يتبع الصواب لزامًا؟ كنت حقّا أشعر بالخوف منه. فلو كنت مكاني تنظرين إلى عينيه لما رددت له طلبا لأنك ستدركين أنّه قادر على قتلك وبدم بارد.

وقال لي حينئذ:

«يا غدّار لا شأن لك في قرار تصفية طَموح، هو قراري أنا وهي مهمّتك الواضحة».

وسحب من جيبه مسدسا اعتقدت لوهلة أنه سيقتلني به إلا أنه تقدّم مني وأنا ما زلت على الأرض ليقول: خذه! به ستقتل طَموح، وسوف نعلمك متى وأين. إيّاك أن تتفوّه بكلمة أمام أحد، وتوقّف عن إحتساء الخمر، هذا أمر!

حتّى لا يزلّ لسانك. وبعدها ستضع السلاح في مكان أحدّده لك لاحقًا، فآخذه أنا وأتخلّص منه بطريقتي الخاصة.

وهذا ما حدث يا سيدتي. وافقت مُكرهًا على تنفيذ المهمة. وأقرّ لك أنّني نادم كلّ الندم على فعلتي، لاسيّما بعد رأيت الجرأة والقوة في عيني طَموح وأنا أشهر السلاح في وجهه. شقيقك يا سيدتي لم يعرف الخوف وحاول أن يسامحني حتّى حين هممت بقتله.

أنا غدّار، ابن بلدتك، قد أقدمت على قتل شقيقك بأمر من زوجك. قتلته بسلاح هذا الأخير وقد سلّمته إيّاه كما طلب مني.

والسجين حين ادّعى أنّني بعته سلاحي كاذب، فهي محاولة من زوجك لإلصاق التهمة بي من خلال إظهار سلاح الجريمة واظهار بصماتي عليه حتّى يعمد بعدها إلى قتلي على يد أحد مجرمي السجون فأموت قاتلًا وتموت الحقيقة بموتي.

ولأنني لا أؤمن بعدل الزمان، ولا أؤمن بأنّني سأُنصف قانونيّا، ولا أملك أيّ دليل على إدانة زوجك؛ وثقت بك وحدك وبشخصك وبوطنيتك التي تشابه وطنية طَموح شقيقك.

وها أنا أوكلك باسمي وباسم كلّ المظلومين أن تحقّقي عدالة السماء على الأرض، وأن تنصري ضعفي، لتظهري الحقيقة فتستكين روحي في مثواها.

أعتذر لأنني حرمتك شقيقك.

أعتذر من والدتي الغالية التي أحبّها لأنّني ما استطعت إنصافها وأغضبتها وخسرت رضاها حين لم أكن ابنًا مسؤولا وناجحًا.

أعتذر من أهل قريتنا لأنني ولدت بينهم مجرمًا، وما كنت لهم ابنا وأخًا داعمًا صالحًا.

أعتذر من وطني لأنني غيّبت أحد شبّانه الأصيلين المسؤولين، وناصرت الظالمين الفاسدين.

أعتذر من روحي لأنّني أسكنتها جسدًا آثما وألزمتها عقلًا ضعيفًا.

أعتذر من الحياة لأنّني ما استحققتها...

فلأجل كلّ ما ذكرته عزمت على الرحيل.

وختم غدّار رسالته بعبارة مؤثرة «عذرا طَموح، فقد أحييتك فكرة إنسانية خالدة بعد أن قتلتك، ودفنت نفسي بين الأحياء جبانا».

أطبقت حريّة أناملها على الأوراق ماسحة دموعها لتنظر إلى المحقّق نِظرة طفلة مقهورة وقد تلوّنت عيناها بسنا مغيب الشمس. فقالت له:

- قد حانت ساعة الحقيقة... وكانت ما تزال تشدّ بأصابعها على الأوراق وترتجف.
- ما قصدك يا حريّة؟ أعطني الرسالة لو سمحت، فأخذها وقرأ الرسالة كاملة. إنّي لا أصدق ما قرأت!
- وهل من سبب يدفع بقاتل قرر الانتحار على الكذب؟ أبدا.
- لكن كيف؟ كيف لأبناء قرية واحدة أن يقتلوا بعضهم بعضا؟
- وما الغريب في ذلك؟ فالحسد والجهل يدفعان الإنسان إلى القيام بأمور قد لا يتصوّرها عقل.
- لكن المتّهم زوجك يا سيدتي!
- لا تقل زوجي! ذاك المجرم ليس زوجي! هو مسؤول فاسد ومجرم قاتل

وسيحاسب على أفعاله إن كان ما اتّهمه به غدّار صحيحًا. وسرعان ما أدركت حريّة أنّها تصرخ في وجه رئيس مركز الشرطة فعادت واعتذرت منه قائلة: أعذرني ما قصدت الإهانة أو الصراخ.

- أقدر ظرفك يا سيدتي، أتعجّب لصلابتك إزاء هذه المواقف.
- حانت الساعة التي سيُنصف فيها شقيقي وعائلتي ووطني. وإنّي أناصر الحقّ حيثما كان. فالحقّ والحقيقة أمانتان في عنق كلّ إنسان، ولا يجب أن نفرّط بهما لأيّ سبب، لا لعاطفة ولا لقربى ولا لأيّ شيء آخر. هكذا تعلّمت من شقيقي طموح، وعلى نهجه إنّي سائرة. قد عقدت العزم على إدانة متعالي ولو كان زوج... لا أريد قولها لأنه لا يستحقّها...
- إذا يا سيدتي ما العمل؟ كيف سنثبت التهمة عليه؟
- قد ذكر غدّار في رسالته أنّ متعالي أرسل ذاك الرجل من الحانة لإدانته وإلصاق التهمة به، وأنه حرّض على قتله في السجن. ستكون نقطة الانطلاق بإتّهامه بالتحريض على قتل غدّار والتلاعب على القانون والأدلة عن سابق تصميم وإصرار.

وإذا توسّعنا في التحقيق مع ذاك الرجل وحملناه على الاعتراف بتواطؤ متعالي. سنتّهمه بقتل غدّار للضغط عليه وربما استفزازه لعلّه يخطئ بأقواله ساعة استجوابه، فنحن لسنا بحاجة إلا لطرف خيط لنحلّ الجريمة وندينه. فنأمل بعدها أن ينهار متعالي في حال أدرك يقينًا أنّني أنا التي ستتّهمه وتدّعي عليه وتعمل على إدانته. فلعلّنا ننصر قضيّة شقيقي طموح فننصفه لتسكن روحه راضية في جنان خالقه.

وهذا ما حصل.

عادت حريّة إلى مكتبها لتقوم بتحضير ملف قضيتها، وإدعائها على زوجها المسؤول متعالي، فتلك قضيّة حساسة وسيتأثر بها المجتمع سلبًا إذا لم تحسن الأداء والعمل. بينما استدعى المحقّق إلتزام المشاغب مساوم الذي ألقي القبض عليه في الحانة للتوسع معه في التحقيق.

لم تغادر حريّة مكتبها، وقد كان زوجها يهاتفها إلا أنّها لا تجيبه. فهي غارقة بين أوراقها ومشاعرها المتخبّطة بين الانتقام من رجلٍ غدر بشقيقها وأمر بقتله كما غدر بها ليتزوّجها، وبين مشاعر الشوق للشقيق الطَموح والفخر بنصرة الحقّ وتحقيق العدالة.

إتّصل المحقّق بحريّة مساءً، ليعلمها أن ذاك الرجل رفض التحدّث في البداية،

وأصرّ على أقواله في المحضر الأوّل إلا أنه بدا كاذبًا وغير واثق من نفسه، ما دفعهم إلى استعمال كاشف الكذب معه. وعند سؤاله إن كان يعرف المسؤول متعالي تبيّن لهم أنه يكذب. وبعد التحقيق معه من جديد واستعمال القوة... أقرّ أنّه من رجال متعالي المتخفين، الذين لا يظهرون معه في الأماكن العامة...

وكان يتقاضى منه راتبًا شهريًا كبيرا، وقد طلب منه أن يفتعل إشكالًا في الحانة التي تقع ضمن نطاقهم، فيدخل السجن ليواجه غدّار ويتهمه ببيعه سلاحًا غشّه بثمنه، طالبا منه أن يرشد الشرطة إلى مكان السلاح الذي كان سلّمه إياه متعالي في تلك الليلة متعهدًا بإخراجه من السجن. فهو لم يرتكب أيّة جريمة.

تنهّدت حريّة وقالت:

- إذًا يا حضرة المحقّق، هذا دليل على أنّ السلاح كان في حوزة متعالي تلك الليلة، وإن لم يخب ظنّي، فتلك هي الليلة ذاتها التي أعلمته بها أنّكم ألقيتم القبض على غدّار...

وأذكر أنّه كان متفاجئًا مصدوما ذاك المساء! ليذهب بعدها على وجه السرعة ليعطي السلاح الذي قُتل به شقيقي إلى مساوم، ويكلّفه بمهمة افتعال الإشكال في الحانة والتصادم مع غدّار، متحجّجا أمامي أن عليه تسليم تقرير رحلته الدبلوماسية...

وإذا ما حقّقت الشرطة مع مساوم ليدلّهم على مكان السلاح، فلا بدّ أن تستخرج بصمات غدّار عنه وستقع مسؤولية الجريمة كاملة عليه.

هذا كلّه يتوافق مع ما قاله غدّار في رسالته. ومن الممكن جدّا أن يعمد بعدها متعالي إلى قتله في السجن متوسّلا حثالة المجرمين...

- إذا بالإعتماد على رسالة غدّار، وإعترافات مساوم الأخيرة، والأدلة التي

نملكها سنستطيع ان نستدعي متعالي إلى التحقيق. فغدًا سيكون هذا المسؤول في ضيافتنا.

- أيّها المحقّق سأذهب اليوم إلى منزل عائلتي، وسأعلم متعالي أنّني سأعود باكرا إلى البيت كيلا يغادر صباحا فيتسنّى لكم القبض عليه. بعدها سأنتظر مكالمتك غدًا لتعلمني أنّه أصبح في عهدتك، لأصل إلى مكتبك ونستفيد من عنصر المفاجأة في حال تلوّثُ التهم عليه بنفسي. ولنا التوفيق من الله في مسعانا.

- لا شكّ أن شقيقك يفتخر بك من عليائه...

- كنْ أكيدًا أنه لا بدّ له أن يفتخر أيضًا بصدق صداقتك وأمانتك في تأدية عملك وحقيقة مواطنتك. ولا بدّ للحقّ أن ينتصر مهما طال عمر الظلم والظالمين.

- قد قلتِ فصدقت أيتها المواطنة الحرّة. إلى الملتقى في الغد، وكليّ أمل أنّ للحريّة قضيةً ستنتصر.

في الصباح الباكر قدم رجال الشرطة إلى قصر المسؤول متعالي، في حضور رئيس الشرطة المحقّق إلتزام وقيادته وقد كان على معرفة مسبقة به، فقال له:

- سيدي! ستأتي معنا، لو سمحت، إلى مركز الشرطة.
- لأيّ سبب؟
- أنت متّهم بجريمة قتل من الدرجة الأولى.

وصرخ متعالي في وجهه بصوت كلّه كبرياء واحتقار:

- أُصحُ واعلم إلى من توجّه حديثك هذا. أنا متعالي، أنا أمثل ما أمثل رسميًّا وحزبيًّا. عِ وضعك وانتبه إلى كلامك، وقد أنسى بعدها ما تفوّه به لسانك الوضيع.
- سيّدي أنا أعلم جيدًا إلى مَن أتحدّث، ولأنّك كلّ ما ذكرت، أتيتك طالبًا منك مرافقتي بنفسي. وإلا لما كلّفت نفسي عناء المجيء وأرسلت إليك بعضًا من رجالي لتساق مكبّلا إليّ.

لهذا، لو سمحت، فلتأتِ معنا بهدوء لنكمل حديثنا في المركز ولا تدفعني إلى استعمال القوة!

- سآتي ولكن كنْ أكيدًا أنك ستندم.

حاول عندها أن يتدخّل حرّاس أمنه الشخصيين ليبعدوا رجال الشرطة عن سيّدهم، لكنّ هذا الأخير تصرّف بحكمة ومنع رجاله من التصادم مع رجال قوى الأمن أو إحداث جلبة في الحيّ. فذهب مع رجال الشرطة إلى المركز للتحقيق معه كما طلبوا.

لم يستطع متعالي أن يهاتف أحدًا ليعلمه بما حدث، لكنّه طلب من مرافقيه أن يعلموا زوجته حريّة حتّى توافيه إلى المركز. وما إن وصلوا وجلسوا في مكتب التحقيق حتّى قال له المحقّق:

- سيحضر قاضي التمييز من النيابة العامة لاستجوابك أمامي وسيسمعك التهم الموجهة إليك مباشرة، وقد أرسله خصّيصًا القاضي العام الجزائي.
- أنا لم اقتل أحدًا. أنا رجل مسؤول، فلتعلم مع من تتكلّم. إنك تقترف خطأً جسيمًا. تأكّد أنّك ستندم أيها المحقّق.

إقترب أحدهم هامسًا في أذن المحقّق ليصرخ هذا الأخير قائلًا:

- أسرع وأدخلها فأمثالها لا يجب أن نبقيهم ينتظرون خارجًا لأنهم يحملون ما فاض من الأخلاق الحميدة وحسن النسب..

إستغرب متعالي متسائلا، مَن تكون تلك السيدة المهمّة ليتوقّف التحقيق معه حين وصولها؟

وفجأةً اعترت الدهشة وجهه، وصرخ قائلًا: أخيرًا أتيتِ...أخيرًا أيها المحقّق، وصل مَن سيدافع عني! فقد أتت محاميتي، أتت مَن سترفع سيفها لنُصرتي. لقد أتت زوجتي وحبيبتي...

ومن دون أن تقابله بأيّة ردة فعل... صرخ المحقّق بوجه متعالي قائلًا:

- إجلس يا رجل، قد تكون تلك المرأة زوجتك لكنها بالتأكيد ليست محاميتك.

نظر عندها متعالي بدهشة إلى زوجته حريّة، ووقف مستغربًا مستهجنًا مما قاله المحقّق، وما نطق بكلمة كأنه إبتلع لسانه منتظرًا منها إجابة أو توضيحًا. سالت الدمعة على خدِّ حريّة كاوية فمسحتها وشدّت رباطة جأشها ونظرت بقوّة إلى المحقّق قائلة:

- أيها المحقّق، هل المدّعى عليه — المتهم - جاهز للاستجواب؟
- بعًا... طبعًا...
- إذا، لنباشر التحقيق.

سقط متعالي على كرسيه مأخوذًا بما حدث وبما جرى أمامه بين المحقّق وزوجته، وامتُقع لونه فللوهلة الأولى غاب في عالم قاتمة ألوانه، منتظرًا أن يصحو من كابوس مريع، إلا أنه صار فريسة دفي عالم الواقع، يتخبط بين أمواج الهذيان والواقع المستحيل. فقال المحقّق:

- متعالي أقدّم لك المدّعي العام التمييزي وقد اتّخذت صفة الإدّعاء الشخصي عليك.

لم يقوَ حتّى على إجابة المحقّق أو مكالمة زوجته حريّة، التي تبين له فيما بعد، أنها صاحبة الشكوى والمدّعي الرئيس في قضية إتهامه بالقتل. فقالت بكل أسى والغضب يعتريها:

- أنت متّهم بجريمة قتل من الدرجة الأولى، أنت المخطّط والعقل المدبر الذي

يقف خلف عملية إغتيال ابن قريتك... وتوقفت قليلًا لتنظر في عيني زوجها، فرأته كيف لا يقوى على الكلام أو الحراك وكيف بدأ بالتعرّق... وتابعت.... ابن قريتك غدّار.

فأطلق عندها متعالي زفيرًا قويًا، كأنه كان مقطوع الأنفاس، وكأنّ الروح فارقت جسده لتعود. وقال:

- لكنّني أعلم بأنّ غدّار مات منتحرًا في سجنه منذ أيام قليلة مضت، وأنا لم أكن في السجن كما تعلمين لأجبره على الانتحار... حتّى أنني أيتها السيدة – قالها وهو يرمقها بنظرات الحقد واللؤم– لم أقم بزيارته يوما، وما كانت لتجمعني به أية علاقة وطيدة، فقد التقيته في بعض المناسبات العامّة ليس أكثر.

فكيف تتجرّئين على إتهامي!

- تأكّد أنّني لو لم أكن أحمل دليلًا قاطعًا في يدي، لما تكبّدت كل هذا العناء، ولما خاطرت بعائلتي وسمعتي ومستقبلي. لذا أنصحك أن تعترف حتّى أجنّبك عناء التحقيق والإهانات.

- هل نسيت نفسك يا حريّة، أنت زوجتي... وقريبًا ستصبحين أمَّ ولدي. حريّ بكِ أن تقفي إلى جانبي لا أن تقفي ضدّي. هل نسيت كلّ ما علّمتك إياه!

- إخرس... ما كنت بحاجة لأتعلّم منك شيئًا، ولا أقبل أن أتعلّم من أهل الظلمة والظلام شيئًا... كيف أقف معك وقد علّمني شقيقي طَموح أن أقف مع الحقّ وأن أعيش لنصرته؟ لقد تعلّمت منه وحده كلَّ شيء، وهو يفوقك رجولة وإرادة وعزيمة وأكثر إنّه يفوقك ذكاء! هو طَموح الذي أوصاني أن أدرس المحاماة حتّى أناضل في سبيل تحقيق العدالة.

لقد تعلّمت منه كيف لا أرهن نفسي للآخرين، لقد تعلّمت منه كيف أناضل

في سبيل الخير، وفي سبيل قناعاتي لأعيشها حقيقة. علّمني أن أعيش لأحقّق اسمي في شخصي.

من شقيقي طَموح تعلّمت العصامية التي لم تعرفها أنتَ يومًا. لقد تعلّمت منه كيف أحبّ الحياة ولا أخاف الموت. لقد تعلّمت منه كلّ شيء... كلّ شيء... أتسمع ما أقوله لك. **لقد تعلّمت ممّن أمرت أنتَ بقتله يا مجرم، ودفعت بغدّار لإغتياله مقابل حفنة من المال ووظيفة رخيصة تشبهك.**

صدم متعالي بما سمعه وسكن التعجّب عينيه، فرأى حبل المشنقة يقرب منه أكثر فأكثر وضاقت أنفاسه كأنّه يلتف حول عنقه ليعدّ ساعاته الأخيرة.

وتابعت حريّة قائلة وهي تشهق بكاءً:

- نعم، لا تتعجّب يا مَن حملت اسمك في شخصك، نعم أيها المتعالي الجبان! أنا أعلم الآن أنك أنت مَن أمرْتَ بقتل شقيقي طَموح. إنّ شعورا غريبًا يساورني دائما حيالك ما كنت لأفهمه، منذ أن علمت أنك أنت شبح باقات الورد، ومنذ ذاك اليوم في منزلنا يوم طلبتني بكل وقاحة عندما أسأت فهمك واعتقدت أنها جرأة منك.

كنت دائما أشعر بالخوف عندما تحاول التقرّب منيّ، وخصوصًا أنّ شقيقي الراحل ما كان ليرتاح لوجودك أينما صادفك وهو لم يثق بك قطّ...

وكأن الشعور الغريب الساكن صدري هو روح طموح التي تهيم في داخلي لتحذّرني منك. والآن تحقّق ظني بك أيها المجرم.

حتّى بعد أن تزوّجتك، لم تفارقني تلك الرهبة في داخلي التي ما كنت لأفهمها. نعم، لقد أعماك غرورك فاعتقدت أنك أصبتني بسهام العشق والغرام وأنّني غرقت في بحر كرمك ولطفك وحنانك. أبدًا أيها المتعالي، فقد شككت، ومنذ أول يوم شاهدتك فيه، أنّك تبدّل مواقفك وتظهر عكس ما تحمله في داخلك.

إلا أنني أعطيتك فرصةً، وإنّ دعم عائلتي لك دفعني وشجّعني أكثر للموافقة على الزواج. فبعد أن دخلت حياتك، ودرستك عن قرب، علمت خباياك وأسرارك السوداء، لا سيّما أنك طلبت مني ألا أسألك عن عملك ومسؤولياتك، مبرّرًا ذلك بسخافة، أنك ستبقيني بعيدة عن السياسة وتعقيداتها وخطرها. قد بحثت في أعمالك وتفاصيل مسؤولياتك وعلمت فسادك، فوثّقته بقرائن ودلائل ثابتة لا لبس فيها.

وتابعت موجّهة حديثها إلى المحقّق قائلة:

- أيّها المحقّق أرجو أن يدوَّن كلامي في محضرك، فمع أنني أحضر اليوم كمدّعٍ عام على السيّد متعالي بقضية الراحل غدّار بموجب اعتراف خطيّ منه... أرجو أن تأخذ في الإعتبار أيضا أنّني احضر كمدّعٍ عامّ لأحقّق مع المتّهم بتهمة اغتيال شقيقي طَموح، الذي رحل مغدورًا قبل عشر سنوات، فأعيد فتح ملف اغتياله من جديد.

صعق المحقّق ونظر إلى متعالي فرآه يرتجف خوفًا متعرّقًا لا يقوى على الحراك. فطلب من أحدهم أن يصطحبه إلى غرفة الحجز المجاورة، وطلب من حريّة أن تهدأ وأجلسها مكانه، وقال لها:

- أتمنّى منك أن تهدئي يا سيدتي. يمكننا أن نتابع التحقيق غدًا، لو وددت. فتهدئين من روعك. أرجوك أن تتوقّفي عن البكاء.

- أبدا... لا أقبل تأخير العدالة لدقائق...أرجوك أيّها المحقّق لا أريد أن نؤجّل عدالة السماء على الأرض ولو لدقائق. فالحقّ والحقيقة لا ينتظران. فهذه الدموع التي تراها هي دموع فرحي بانتصار العدالة اليوم. كما أنّ هنالك أرواحًا هائمة بيننا مغدورة مأسورة بغلال الظلم وغدر جنود الظلام ومن واجبنا تحريرها.

لا تخف عليّ. كنت وسأبقى قويّة فأنا حريّة شقيقة طموح. طَموح ذاته الذي

ما عرف الانكسار يوما، وما عرف اليأس إليه طريقًا.

طَموح الذي لم يؤخذ بفساد الحياة وسطحيتها. نعم، أنا شقيقته التي أوصاني في آخر عبارة قالها لي يوم اغتياله «**يا أختاه، إيّاك أن تضعفي، إيّاك أن تخذليني**».

أنا لا أقبل أن أضعف ولا أقبل أن أخذل شقيقي يا حضرة المحقّق. تأكّد أنّني أملك دلائل وقرائن كفيلة بإنزال أشد العقوبات بِزَوْ... لا... بمتعالي.

لهذا لو سمحت، أدعوك حتّى تفتح محضرًا رسميًّا فأنا أريد الإدّعاء عليه بتهمة قتل شقيقي طَموح عن سابق إصرار وتصميم. بالإضافة إلى تهمته بقضية التحريض على اغتيال موكلي غدّار ما دفع به إلى الانتحار، وسأقدّم الأدلة والبراهين الكافية أمام المحكمة الجزائية في العاصمة.

فكان لها ما أرادت...

فتح المحقّق محضرًا آخر بتهمة القتل المتعمد من الدرجة الأولى في حقّ متعالي فأصبح متّهمًا بقضيتين لا واحدة. وبإشارة من حريّة بصفتها المدعي العام أبقي على متعالي محتجزًا لاستكمال التحقيق. وما هي إلا أيّام حتّى تحوّل الملف إلى المحكمة الجزائيّة وعينت الجلسة للمحاكمة.

عَلِمَ الإعلام بحيثيات قضيّة حريّة، وانتشر خبر اعتقال متعالي ليس فقط في قريته بل في أرجاء الوطن أجمع. وما زاد الملف شهرة هو أن المدّعي العام التي تأخذ صفة الإدعاء على متعالي هي زوجته القاضية حريّة. فخضّ هذا الخبر المجتمع وكأنّ السماء أرادت أن تُكشَف الحقيقة على مرأى الجميع ومسمعهم.

صعقت عائلة حريّة لما جرى مع ابنتها، وبالحقائق المستجدّة التي برزت أمامها

في ما يتعلق بقضية مقتل ولدهم طَموح.

وحدثت بلبلة كبيرة بين الناس، وانقسمت القرية بين مؤيّدين لحريّة ومناصرين لمتعالي، وكاد الأمر أن يجلب الويلات للبلدة ونسيجها الاجتماعي. فهي قضية لم تتقبّلها العقول ولم تقوَ حتّى على أن تفهمها...

كيف عادت قضية اغتيال طَموح إلى الواجهة من جديد بعد عشر سنوات؟ كيف تدّعي حريّة على زوجها متعالي؟ كيف قُتل غدّار أو انتحر داخل زنزانته؟ أسئلة كثيرة راودت أهل حريّة وسكان قريتها، فأصبحت حديث الجرائد والمجلات ووسائل الإعلام على أنواعها... والقضية أصبحت على مساحة وطن.

بسبب ما أحدثته الواقعة من بلبلة وجلبة بين الناس وفي المجتمع السياسي والقضائي حتّى المدني. إرتأى القاضي الجزائي مع لجنة المحلفين ضرورة البتّ بالقضيّة بأسرع وقت ممكن، تفاديًا للمشاكل والفتن التي قد تنتج عن ردّة فعل الناس تفاعلا مع حيثياتها.

فطَموح كان له محبّون أوفياء قد يلجؤون إلى الأخذ بالثأر، كما أنّ متعالي مسؤول رفيع الشأن ومتموّل كبير، إضافة إلى أنّه منتسب لصالح أقوى الأحزاب الوطنية. وبالتالي ليست قضيّة سهلة.

أتى اليوم المنشود، وهو يوم المحاكمة... فبالنسبة إلى حريّة هو يوم مصيريّ، يوم تتحقّق فيه عدالة السماء على الأرض... يوم تستكين روح شقيقها في عليائها.

مرّت بمكتبها في النيابة العامة، وقبل أن يحين موعد المحاكمة وصلها ظرف مختوم مكتوب عليه: «يصل إلى يد القاضية حريّة». وعندما فتحت الظرف

وجدت ما لا يمكن توقّعه... وكانت المفاجأة.

فتحته لتجد فيه صورًا لزوجها مع المجرم الذي ادّعى شراء المسدس من غدّار مفتعلا معه إشكالا في السجن. كما وجدت صورا لمتعالي وغدّار في لقاءات سرية. وإضافة إلى صور مريبة وجدت ملفات فساد وسرقة واحتيال.

وفي الرسالة المرفقة كُتِب: مَن يعش متعاليًا فلا بدّ وسيُدان مجرمًا في محكمة الزمان... فكما يُدِنِ المرء يُدان. وكانت الرسالة موقّعة من خطير وقد جاء فيها:

حريّة... أرجوك أن تعلمي أنّني أسامحك لعدم قبولك قضيّتي يوم تآمر عليّ الأقربون، كما أنّني أشكر القدر لأنه أوقعني في طريقك. نعم، قد كانت كلماتك كحدّ السيف الذي يذبح من الوريد إلى الوريد... لقد تبدّل كلّ تفكيري، وها أنا اليوم أقضي محكوميتي بسلام وفرح، لأنني أثق بأنني أستحقّ العقاب المكتوب نتيجة أفعالي المشينة والمخالفة للقوانين والقيم والمبادئ. لذا أعتبر أنّك ساعدتني ودعمتني يوم اعتقدت أنّك تخلّيتِ عنّي.

أجد اليوم، وبعد أن علمت أمر ذاك المتعالي زوجك وتخلّيك عن العاطفة وأقوى الروابط الاجتماعية وأقدسها من أجل إحقاق الحقّ وإظهار الحقيقة، أنه من واجبي أن أساعدك وبكلّ سرور للاقتصاص من ذاك الخائن.

فقد أيقنت أنه كان سبب فضحي علانية بالوثائق، لأنه أرسل الأدلة التي تدينني إلى وسائل الإعلام والجهات الرسمية، وما أنا مُقدم عليه هو لخدمة الحق لا انتقاما بل وقوفًا في صف الحقيقة والعدالة، ولو لمرة في حياتي الزائلة.

إن زوجك مجرم تجِب معاقبته لكي يكون عبرة لمن اعتبر. فالإجرام يحتلّ درجات ومرتبات، وإنّ لزوجك عرشًا في رأس هرم الإجرام والفساد. فعلا إنّك نموذج للنبل والصدق والأخلاق والمواطنة.

دمت سندًا لأهلك ومجتمعك ووطنك... وعسى أن تتّعظ الأجيال من وجودك. أتمنّى لك كلّ التوفيق، وإنّك بقوة الحقّ الذي به تنطقين منتصرة.

التوقيع: المواطن السجين... الساعي إلى التوبة... خطير.

حملت حريّة رسالة خطير التي قرأتها مرتين متتاليتين، ووضعتها في ملف قضية الإدعاء على متعالي، وطلبت من مساعدها مرافقتها إلى المحكمة، وذهبت وبريق النصر في عينيها يظهر جليًا ليبهر كلَّ من ينظر إليها...

وصلت حريّة إلى المحكمة، وكانت هيئة المحلفين قد اتّخذت مكانها في القاعة بالإضافة إلى حضور كثيف من الصحافيين والإعلاميين في الخارج.

شاهدت حريّة هيئة الدفاع قد حضرت وكانت مجموعة من أكفأ المحامين في الوطن، لكنّ الغريب أن أستاذها مشهور، وهو صديق متعالي المقرّب، لم يكن بين هيئة الدفاع، فكيف لا يترافع ليدافع عنه؟ إلّا أنّها وجدته جالسًا بين الحضور في المحكمة، يراقبها وكلّه فخر وإعتزاز، فأومأت له إحترامًا وتقديرًا لموقفه الحيادي.

وبعد دقائق مضت، وبينما كانت حريّة تائهة في مراجعة أوراقها والقرائن التي بين يديها، أُدخِلَ متعالي إلى قفص الإتّهام أمام عينيها. فرأته مذلولا نحيلا ضعيفا لا يشبه البتّة ذاك الرجل المتعالي القوي والواثق من نفسه فالحزن بادٍ على وجهه والغضب يعتريه. ورمقته بنِظرة شفقة وأدارت وجهها عنه.

ثمّ صرخ الحاجب «محكمة» ودخلت الهيئة المكلفة إدارة ملفّ القضية واطلاق الحكم على متعالي وجاهيا، بعد أن انتهى تحقيق الجهات الأمنية معه، واكتملت العناصر.

عمَّ السكون أرجاء القاعة بعد أن أطرق القاضي بمطرقة عدله مرتين على الخشبة أمامه، لينادي على المتهم متعالي ويؤكّد حضوره بعد أن قرأ رقم

القضية، وقد ضمّت جناية في طياتها ودعوتين جزائيّتين في حقّ المتهم المذكور: واحدة بمحاولة قتل غدّار والتلاعب بالأدلة وعملية غشّ الأجهزة الأمنية، وأخرى بالقتل المتعمّد عن سابق إصرار وتصميم.

طلب القاضي من الإدعاء البدء بالمرافعة، فقراءة نصّ الدعوة.. وقفت حريّة بكل ثقة ونظرت إلى الحضور، والسلام يثلج قلبها، وتنهّدت أنفاسًا تعبق بالعزّة والكرامة والعنفوان.

وقفت، كما وقفت منذ سنوات في يوم وداع شقيقها، تحبس دمعها وتكبت حزنها تحت رداء العزيمة والإرادة، فقالت:

- سيدي القاضي، هيئة المحكمة الموّقرة، هيئة المحلّفين والسادة الحضور. إنّنا هنا اليوم في يوم تاريخيّ، يوم تنكسر شوكة الباطل بحدّ منجل الحقّ وسيف العدل. قد يعتقد بعضكم أنّ افتعال الجرم ينتهي بانقضاء الوقت... غير أنّ الوقت يمهل ولا يهمل.

إنّ قضيتنا اليوم هي قضية نصرة الخير على الظلم وأهل الظلام. قضيتنا اليوم تتطال مسؤولا عاش تبعيًّا، ووصل انهزاميًّا، ونجح متزلّفًا، وقتل جبانًا، وغدر خائنًا. إنّ المتّهم أمامكم يا سادة كان للأسف زوجي...

وعلت صرخة الاستهجان في قاعة المحكمة. وبدأت أسئلة كثيرة تصل إلى مسمع حريّة لكنها لم تعرها أية أهمية. وتدخّل القاضي ليعيد الهدوء إلى القاعة ثمّ تابعت مرافعتها:

إنّي ما أعلنت هذه الحقيقة إلّا لأثبت أنّ علاقة الإنسان بحقيقة الحقّ ونصرة الخير أقوى من أيّة علاقة زمنية أو عاطفية. فالحقّ يعلو ولا يُعلى عليه. إنَّ المتّهم يا سيدي القاضي، قد دبّر اغتيال الراحل طَموح، الشاب العصامي حامل راية المواطنة الحقيقيّة. قد دبّر مسألة اغتياله مع ابن قريته غدّار الذي حاول فيما بعد أن يقتله في سجنه مستخدما أحد رجالاته الذين يشابهونه مكرًا وأذية.

كانت الشرطة، وبعد مرور أكثر من عشرة أعوام على اغتيال طموح، قد توصّلت إلى طرف خيط قادها فيما بعد إلى الاقتصاص من غدّار، وعلى الرغم من أن هذا الأخير لم يعترف بجريمته في بادئ الأمر، إلا أن تدخّل متعالي ومحاولة إيصال سلاح الجريمة إلى يد الجهات الأمنيّة كدليل قاطع على إدانته بمشهدية سخيفة ما انطلت على الشرطة كانا دافعًا رئيسًا لغدّار حتّى يترك اعترافا خطّيًا بقيامه بقتل شقيقي طَموح لكن بتخطيط من متعالي وأمر مباشر منه.

كما اعترف أنه سلّم سلاح الجريمة لمتعالي بعد إتمامه عملية الإغتيال بحجّة أن ذاك الأخير قادر على إتلافه. وحين وجد غدّار أنه أمام موقفين: إمّا أن يُدان وقد يتعرّض لعقوبة الإعدام وإمّا أن يقتله رجال متعالي في السجن. فضّل أوسط الأمرين وقرّر ملاقاة خالقه بإنهاء زمانه بيده... وانتحر. وبذلك يكون متعالي قد قتل طَموح باستخدام غدّار، ودفع هذا الأخير إلى الانتحار.

واليوم حصلت النيابة العامة على أدلة وبراهين تدين المتّهم بالفساد والإجرام، وسنعرضها لكم على الشاشة الآن، ومن بين القرائن صور للمتهم في اجتماعات سريّة، تجمعه بغدّار وأزلامه القابعين في السجن.

إنّ النيابة العامة تطلب أقصى العقوبات في حقّ المتهم متعالي... إنّ من تولّى أمر العباد والبلاد من خلال مسؤوليّات رسميّة لا ينقلب ليخون شعبه وأرضه ووطنه ولا يجوز له مخالفة القوانين، واللجوء إلى عمليات الإحتيال والفساد والإجرام، كما لا تسمح له حصانته السياسية وعلاقاته ونفوذه، بإعطاء الأمر بقتل أيّ مواطن سواء أكان مسؤولا أم فردًا عاديا.

ولأنّ هيئة الإدعاء لا تحبّذ عقوبة الإعدام ولا تؤمن بجوهرها، ولأنّ البشر ما خَلقوا الحياة وليس لهم أن ينهوها ساعة يشاؤون... لذا يطلب الإدعاء إنزال أشد العقوبات والحكم بالأشغال الشاقّة والحبس المؤبّد للمتّهم ولكل من يثبت

تورّطه معه في الجرائم. وليكن عبرة للأجيال ولكلّ مَن تسوّله نفسه مخالفة القوانين، واستخدام السلطة الممنوحة له للقيام بأفعال جرمية لا وطنية.

إن العقاب حاجة وضرورة كما الثواب على حدٍّ سواء. فأرواحنا فانية لا تدوم، وفي مرحلة حياتها حتّى فنائها، لا بدّ أن تذوق النفس مرارة العقاب كما دأبت على تذوّق طعم الثواب. ليبقى الكون قائما على قاعدة التوازن التي منها انطلق وإليها يعود. انتهت مرافعة الإدعاء.

أنهت حريّة مرافعة الإدعاء. وكانت ترتجف لحجم المسؤولية التي تثقل كاهلها. استمع القاضي إلى هيئة الدفاع غير أنّها لم تقدّم ولو حجّة واحدة مقنعة لتبرّئ المتهم.

وخصوصًا بعد أن أبرز الإدعاء صورا تجمع متعالي بغدّار القاتل المنتحر في سجنه، وبمجرمين كثر في قبضة العدالة.

حتّى المتّهم لم ينطق ولو بكلمة واحدة ليدافع بها عن نفسه، كأنه يعي أن ساعة الحساب قد دنت، وأن لا مفرّ من العقاب بعد أن خسر زوجته وهيبته وسمعته. امتدّت جلسة المحاكمة أكثر من ساعتين بين المرافعات وعرض الأدلة وتلاوة محاضر الشرطة والاستماع إلى الشهود. إلى أن رفع القاضي الجلسة للتشاور قبل إطلاق الحكم النهائي وجاهيًّا.

خرجت هيئة المحكمة، وكان السكون يعمّ القاعة... فقضيّة حريّة، كانت أغرب القضايا وأكثرها تعقيدًا... فكيف تحاكم امرأة زوجها فتدينه بطلب إنزال أقصى العقوبات عليه؟ كيف يأمر متعالي ويخطّط لاغتيال ابن قريته وقد نجح في تحقيق مآربه؟ أسئلة كثيرة كان يردّدها الحاضرون.

اقترب مشهور من حريّة على مرأى من صديقه متعالي ليقول لها:

- إنّني أنحني امام عظمة موقفك اليوم وجبروت إرادتك وعزيمتك لنصرة الحقيقة والعدل.

- إسمحي لي أن أعترف أنّني اليوم شاهدت بأمّ عيني، كيف يتفوّق التلميذ على أستاذه، من خلال المثابرة والمناقبية الجدّية، والإصرار على حمل الثوابت والقيم رسالةً إنسانيّة تنير الدروب.

شكرا يا تلميذتي لأنّني تعلّمت منك اليوم حكمًا كثيرة، فصرت أنت المعلم وأنا التلميذ.

- أستاذ مشهور، إن شهادتك وسام فخر واعتزاز. إني أقدّر موقفك وثناءك وأشكرك على كلّ حرف قلته. لكن عندي سؤال يرهق عقلي وخيالي. أتسمح أن أتوجّه به إليك؟
- أخطأت... أعترف أنني أخطأت.
- ولكن بم أخطأت؟ لم أسألك بعد...
- من غير أن تطرحي سؤالك أجبتك.
- أعلمت ما أردت أن أسألك؟
- نعم، وقد أجبتك أنّني أخطأت حين شككت بقدراتك، وأخطأت حين اتّخذت من متعالي صديقًا، وأخطأت حين ترافعت ضدّك في قضية متسلّط، وأخطأت في كلّ شيء وقد أتيت لأعترف لك بتفوّقك.
- ألا تندم لصداقتك مع متعالي؟
- حريّة، متعالي كان صديقي يوم كان مسؤولا ينجز مسؤولياته بأمانة، ولو عرفت عنه جزءًا من كلّ ما سمعته اليوم لتخلّيت عن صداقته منذ زمن طويل. وأنا اليوم ها هنا، لا لأسمع الحكم بحقّ صديقي إنّما لأفتخر وأعتزّ بتلميذتي وقد تفوّقت على نفسها ثم عليّ لتكون نموذجا راقيًا للمواطنة الحقّة، والهوية الإنسانية الفعلية. كلّ التوفيق لك يا حريّة.
- شكرا يا أستاذ مشهور، إني لم أنسَ فضلك علي منذ أن كنت طالبة

متدرّجة في صفوف فريق عملك.

وبعد لحظات دخل الحاجب ليصرخ «محكمة». وصلت هيئة القضاء وجلست في مكانها، وقبل أن تطلق الحكم، سأل القاضي هيئة المحلفين عن قرارهم، فأعلنوا إدانته بالإجماع.

فقال القاضي: إنّ المحكمة بعد سماع قرار المحلّفين وبعد التداول والنقاش في الأدلة والقرائن المقدّمة في القضيتين المتعلقتين بتجريم المتهم بمحاولة قتل ودفع إلى الإنتحار، والتخطيط للقتل عن سابق تصميم وإصرار، حكمت حضوريا على المتّهم بالسجن المؤبّد مع الأشغال الشاقة، من دون تقليص الحكم أو تخفيفه بأيّ شكل من الأشكال.

كما تطلب المحكمة من الجهات الأمنية المختصّة دراسة القرائن والأدلّة المستجدّة في القضية، لأخذ الإجراءات القانونية اللازمة. رفعت الجلسة.

وبعد سماع الحكم، اقترب رجال الأمن ليقتادوا متعالي إلى السجن المركزي... وإذ بحريّة توقفهم، وتقترب لتهمس في أذنه، فتقول:

سأحرص على ألا يعرف ابننا أيّ شيء عنك، وسأجعله ينساك حتّى قبل أن يسأل عنك. فلن تكون حتّى رسمًا في خياله، وسأسمّيه طَموح ليحيا متأثرًا بخاله الراحل فقط... وإن كتب له العمر ليسأل عن والده، لا بدّ أنّني سأحرص على كشف حقيقتك له، ليشكر خالقه على أنّه لم يلقك يوما.

فأدمع متعالي ووقع أرضا مغميًّا عليه، لينقله رجال الأمن مباشرة إلى المستشفى تحت مراقبة مشدّدة ليدخل فيما بعد في غيبوبة دماغية أدت إلى موته بعد أيام قليلة وتحقّقت عدالة السماء في يومه الأخير الهزيل.

فكان اليوم الذي لم يرتقِ ليكون يوم وداع مسؤول في منصبٍ مهمّ فقد رفض أهل بلدته استقبال جثمانه، مبرّرين قرارهم ذلك كعقاب على خيانته أهله

وإقدامه على قتل طَموح، فآخرة متعالي كانت توازي تعاليه وفساده وإجرامه فهو لم يحتمل ما أصابه من عقاب ومحاسبة فرحل عن عالمه الفاني، بعد أن أفنى هوية وجوده الإنسانية والاجتماعية في سجن فساده وإجرامه، متناسيًا هو وأمثاله أنّ الحقّ وإن غَيَّبه قسرًا أهل الظلمة لا بدّ وأن يشرق من خلف شفق الكون العظيم بعظمة كمال مبدعه وصيرورته.

خُضّ الوطن بقضية حريّة، وتناولها الإعلام بكافة قطاعاته، وعادوا لينشروا كلام حريّة قبل جلسة المحاكمة وبعدها، وكيف انتصرت امرأة على عواطفها والتزامها بعائلتها من أجل أن تلتزم بقضية أكثر عمقًا وأكثر إنسانية وأكثر مواطنة وتضحية في سبيل الوطن وأهله.

خرجت الشمس من عرينها، لتطل على ساحة الدنيا مشرئبة بتاج نورها الدافئ بعد ليلٍ حالك في حياة حريّة... فداعب وهج الشمس وجهها، وحمل الفرح خواتم من تبر السعادة، فارتسم على ثغرها الأمل جليًّا في غدٍ أفضل، بسيادة الحقّ سلطانًا على عرش الأرض.

صادف في ذاك اليوم ذكرى إغتيال «طَموح»، وكانت قد جرت العادة أن تزور العائلة وبعض الأقارب والأصدقاء مرقده، فأخذت حريّة بيد ولدها، واقتادها الحنان والوفاء نحو الشجرة الكبيرة الصامدة في قمة الجبل، وروح طَموح الهائمة في دنيا الصفاء والحقيقة.

حملت حريّة ولدها واتّجهت نحو مرقد شقيقها فرأت جمعًا من أهل القرية يتبعها ومنهم قد سبقوها. فأعادها ذاك المشهد إلى يوم انتصار طَموح على الموت، يوم اجتمع الناس من كل حدبٍ وصوب وعاهدوا روحه على وفائهم لنهجه، يوم قالت وصيته بصوتها فأقسموا بعدها على بقائهم مواطنين، كما أوصاهم طَموح... واليوم يتكرّر المشهد أمامها، وكأنّهم أتوا ليجدّدوا العهد والوفاء، أتَوا كبارا وصغارا حاملين أغصان الزيتون والشموع والورود.

إجتمعوا حول الشجرة العملاقة التي حُفِر عليها اسمه، وقدّموا الصمت أضحية على مذبح الاحترام.

كان النسيم يتلاعب بأغصان الشجرة الخالدة المرتفعة التي تحضن زوارها بخيمة من الظلّ الهادئ، وكأنّه طَموح بشخصه يتكلّم في حفيف أوراق الشجرة شاكرًا الناس على وفائهم، وكأنّه في ظلّها يحضنهم جميعًا بذراعي الوفاء والأمان.

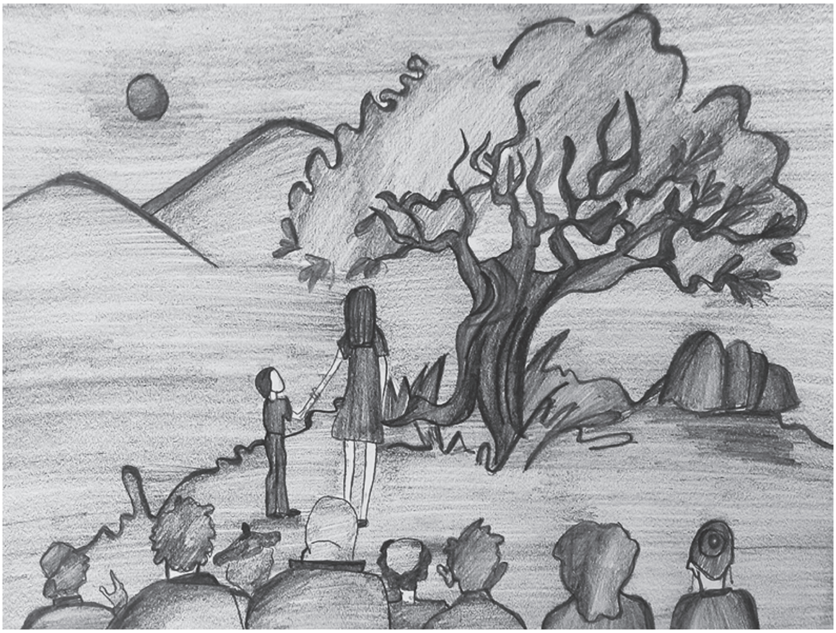

وقفت حريّة أمام الجموع كما وقفت قبل عشرة أعوام ودموع الشوق لاقت طريقها نحو جفنيها:

- منذ أكثر من عشرة أعوام، وقفتُ أمامكم فتاة يافعة مكسورة الجناح أصاب الحزن قلبها وصدمها غياب شقيقها. وقفت أمامكم لأقرأ وصيته، ورماح الحزن تخترق صدري لتجرح قلبي بنصلٍ سام ترك جرحًا لم ولن يلتئم...إنّ طموح أسكن قلوبكم طيف إنسانيته وحبّه لوطنه. ومنذ ذاك اليوم عاهدت نفسي أن أسير على خطاه، على درب الوطنية، وأصرخ بصوت الحقّ، وأرفع راية الحقيقة.

كان قد أوصاني أن أدرس المحاماة لأنه أرادني سيفًا للعدالة ينصر كلّ مظلوم، لأنه أرادني أن أناضل في سبيل الحقيقة ونصرة للحقّ دومًا مهما كلّف الأمر من أثمان.

فهو القائل»**إنَّ الحقيقة غايتنا... فمن الخير دوما يجب أن تتكوّن وسيلتنا**».

طَموح كان مثال الإنسان العصاميّ الناجح، كان مثال المواطن الراقي والمؤمن بوطنه وأرضه وشعبه، طَموح كان شعلة متّقدة بالحريّة ولم يقبل أن يعيش خلافًا لقناعاته. نحن لا ننسى كلامه الذي كتبه بدمائه على الأرض لحظة اغتياله...

فعلى الرغم من معرفته قاتله، لم يقبل أن يدوّن اسمه على الأرض مبعدًا الثأر والأحقاد، وفضّل أن يترك رسالة إنسانية لمن عرفوه. فهل نجد في زماننا الذي نعيشه اليوم مَن يترفّع عن الأحقاد في سبيل السلام والإنسانيّة؟

أما اليوم فأتينا إلى هنا، إلى حيث يرقد بسلام، بعد أن تحقّقت عدالة السماء على الأرض، لنجدّد العهد والوعد. لقد ضحّى شقيقي بحياته من أجل مبادئه، من أجل وطنه وناسه. كتب لكم وللقدر بأجياله التي ستتوارث حكاية نضاله الإنساني في زمن غيابها عن معظم النفوس والعقول.

في تلك الوصية توجّه إلى أهله ورفاقه والساسة ووطنه برسالة أقرب لتكون ترياقًا يقي العقول من كلّ تخلّف وجهل. قال تلك الكلمات المكتوبة بحبر الصدق من أجل نصرة الحقّ. قالها ومهرها بعبارة وطنية: ستبقى يا وطنُ... الوطن الرسالة، الوطن الحلم. وسنبقى مواطنين...

ودوّى الكلام في أرجاء تلك التلّة الخضراء حتّى أنّ الحاضرين حسبوا أنّ صوتها تغلغل في أغصان الشجرة وأيقظها من سباتها لتستفيق مصفّقة بأوراقها الخضر متنهدة من تحت التراب، كأنّ روح طَموح همست بذبذبات الشوق والفخر والاعتزاز بشقيقته.

وأكملت حريّة كلامها:

لذا أيها الأصدقاء، يا أهلنا ويا أيها الأحباء، عودوا إلى وصية طَموح فإنّني أبصر في جوهرها نواة حكاية... عودوا واقرؤوا «**حكاية طَموح**»...

فقاطعها ابن عمها شجاع ووقف إلى جانبها قرب الشجرة ونظر إلى الناس يخاطبهم:

- يا أهل طَموح ومحبيه، قد رافقت ابن عمي، مذ كنّا أطفالا، في سنين قصيرة إلا أنّها بأحداثها تخطّت جيلا كاملا، كان طَموح شجاعًا لا يهاب شيئًا... كان مفعمًا بالحماس وعلى عجلة من أمره، فإن تسأله يجبك: «**واجبنا أن نطارد الوقت فالوقت لا ينتظر أحدًا**». وما كنت لأفهم ما يعنيه حتّى يوم اغتياله حينها تأكّدت أنّه يشعر بأنَ القدر أبخل على عمره، لهذا أراد أن ينجز ويحقّق ما استطاع من أحلامه وآماله.

هو يسعى إلى الإنسان في كلّ فرد يلتقيه، تخطّى حاجز المذهبيّة والتعصّب إلى قبول الآخر الذي يعتبره مكمّلا إنسانيته ووجوده وجزءًا لا يتجزّأ منه.

آمن بحريته فأوصى شقيقته بأن تحمي اسمها ليبقى شخصها مصانًا. وها هي اليوم تقف أمامنا منتصرة على الظلم، تقف إنسانة ناجحة فارسة دافعت عن الحقّ في وجه الظالمين، ولم تسكت عن الحقيقة حتّى ولو كان أقرب الناس هم المخطئين، وهذا تثبيت لنضالها الصادق في تكريس مبادئها.

فهنيئًا لطَموح بشقيقته التي أمل بها، فحقّقت له أمنيته وأهدته العدالة في المقابل. هنيئًا لنا بحريّة الفتاة الذكية المواطنة الأصيلة التي سينشأ بفضلها وعلى نهجها جيلٌ من اليافعين ستكون لهم خير قدوة. اليوم انتصرت حريّة على الظلم والغدر، وأثبتت أنّ قضيتها تعني الجميع.

فتقدّم بعدها شقيقها متعصّب، محنيّ الرأس هزيل الموقف قائلًا:

- أيّها الأصدقاء الأوفياء، أنا أعلن أمامكم أنّني أخطأت في حق نفسي، قبل أن أخطئ في حقّ شقيقي الراحل طَموح. فقد حاول مرارًا وتكرارًا أن يخرجني من سجن التعصّب. أنا أفوقه عمرًا لكنّه فاقني فكرًا وإنسانيّة بأجيال.

نعم، قد حاول كثيرًا أن يقنعني بأنّ أتحرر وأنطلق باحثًا عن حرّيتي خارج متاهة التبعيّة والرجعيّة، إلا أنّني ما اهتديت بقوله: «**إنّ الإنسان منّا قد ولد ليكون حرًّا، لا يملكه أحد ولا يأمره أحد. حياته تسِمُها حريته، هو ميتٌ لا محالة ينتظر دفنه إن عاش في خوف إحياء قناعاته. وكم من امرئ تصادفه على قيد الحياة وهو ميت، وكم من أموات تحت التراب أحياء لا يموتون**».

اليوم أقول لشقيقي، نعم شعرت بموتي حتّى وأنا على قيد الحياة، أقرّ أنّك يا شقيقي الغالي تحت التراب حيٌّ لن تموت. ويا شقيقتي الغالية حريّة، نحن لم نؤمن بجرأتك، ولا بأهدافك النبيلة لأننا ما نزال نعتبر أن المرأة مخلوق ضعيف لا نثق بقدراتها. أما اليوم فقد أكّدت أنّ للمرأة دورًا أساسيًا في إدارة عجلة التغيير والتنمية والتطوير في المجتمعات، بغضّ النظر عن العادات والتقاليد، فللفتيات حقٌّ مشروع في اختيار المسار، وحقّ في تحقيق الذات.

شقيقتي تخطّت كلّ توقعاتنا ونجحت بنصرة الحقّ والعدالة بعد نضال طويل، وعصامية ومثابرة على النجاح لصالح الخير.

هي شقيقتنا الصغرى التي تفوّقت علينا جميعًا بعقلها المتّزن ورجاحة تفكيرها. تفوّقت علينا في وطن يقترن فيه النجاح بحجم الوساطة واهتمام المرجعيّة، وغطرسة السلطة السياسيّة والمادّية فيه.

وختم كلامه وهو يمسح عن خديه دمع الشعور بالذنب.

ثمّ انبرت الوالدة من بين الجموع والدمع يُغرق مقلتيها قائلة:

- ضاعت مني الكلمات، ولا أعلم من أين أبدأ. صرْتُ أحتار بين مشاعر الفرح والحزن، أأفرح لانتصار الحق على الباطل وتحقيق العدالة، وبإنجازات ابنتي حريّة التي أصبحت بشخصها وأدائها قضيّة كلّ فتاة تسعى إلى تحقيق طموحها وإثبات ذاتها أم أحزن لأنّ وجودنا هنا اليوم يذكّرني بفقدان الغالي

طَموح وغيابه السرمدي عنّا جسدًا لا فكرة؟

لكنّني صدقًا قرّرت أن أحمل الفرح والحزن تساويًا في قلبي. فكلّي أملٌ أنّ الخالق كتلة خير، لا يفعل إلا الخير والصالح لعباده. فإذا أحزننا فذلك ليس إلا لغاية استقبال الفرح الأعظم وإدراك قيمته. فلولا الحزن لما عرفنا الفرح. لأنّ الكون يقف بين كفيّ ميزان العدل ليحمل ما هو أسود من جهة، فندرك جوهر كلّ أبيض في الجهة المقابلة.

أشكر كلّ من وقف هنا اليوم، فهي ليست وقفة ذكرى لطَموح فقط إنما هي وقفة داعمة لنهج جديد وحرّ، لنهج الحق والعدالة المتجسّد في حريّة، وقد ترفّعت عن العواطف ونصرت الخير وعاندت الظلم والظالمين حتّى ولو كانوا من أقرب الأقرباء.

فما قضيّة حريّة إلا عبرة لكلّ فتاة طموح حالمة حرّة، كانت قد اتّخذت لها منزلًا في مساكن اليأس حتّى تدفعها لتثور على يأسها فيستفيق المارد الإنساني الحالم والمتحرّر في داخلها.

كلّ فتاةٍ محصنّة بالعقل ومترفعة عن كلّ شائبة، رافعة لواء الإستقامة، هي مشروع فتاة حرّة ناجحة مهما كانت الصعوبات.

فتحقيق الذات يتطلّب من كلّ إنسان نضالًا صادقا يفوق المتوقّع. وفي حال تحقّق الحلم ليصبح واقعًا، أو حتّى مجرّد عيش حقيقة طريق النضال لتحقيق الأحلام، سيجد كل مناضل شريف حقيقة وجوده ويختبر الفرح العظيم لبقائه.

قضيّة حريّة اليوم هي رسالة لاذعة مؤنّبة لكل الآباء والإخوة ممّن يعتبرون أنّهم بقسوتهم وفوقيتهم وغطرستهم الذكورية قد يسيطرون على الفتيات فيعاملونهن كقطع أثاث يبدلون مواقعهن حسب أهوائهم وتطلّعاتهم...

أبدًا! ففتاة هذا الزمان رمت من على كتفها جرّة الماء الطافحة بماء التقاليد

من ينابيع الماضي في قارعة القرية؛ لتحمل حقيبة الأمل المكتوبة أوراقها على صفحات الغد المشرق، والمنثورة أحلامها بألوان الحياة.

هي قضية لن تموت ولن تعرف الزوال.

إقترب المحقّق إلتزام متأثرًا بالمشهد الذي رآه أمامه مذهولًا بصراحة الأخ ووفاء الأخت وحكمة الوالدة ودعمها نهجَ ابنها وابنتها وصبرها الكبير على فقدان أعزّ ناسها، فقال:

حكمت عليه مسبقًا فرفضته شخصًا قبل معرفة خبايا عقله فيما بعد. نعم، حديثي عن طَموح الذي عرفته زميلًا في الجامعة. فمنذ أول لقاء لنا مع بعض الزملاء أدركت وطنيته ورجاحة عقله ووفاءه لأهله وأحبائه وشغفه بالحياة ومثابرته لتحقيق الإنسانية في من يقابل من الناس.

هو شابٌ يستحقّ التكريم والتقدير على مستوى ما حمل من صفات حسنة. إنّنا اليوم يجب علينا أن نحتفي بحريّة وقضيتها التي شغلت الرأي العام. حريّة التي قرّرت أن تقف إلى جانب الحقّ في وجه الباطل مهما كانت الظروف ومهما اختلفت العقبات.

حريّة ناصرت المرأة، ودافعت عن حقوقها في عائلة الوطن ووطن العائلة. آمنت وعملت من أجل المساواة بين الرجال والنساء. فحملت سيف الحقّ لنصرة حقوق المرأة. الحقوق التي لا يجب أن تتعارض مع دور المرأة المقدّس في بناء العائلة وتوجيه الأجيال التي توكل بتربيتها.

هي الحقوق التي تمنح المرأة قوة وقد تمنحها السلطة أيضًا لكن من دون أن تسلبها أنوثتها ورقيّها.

لقد رأيت جرأةً ما بعدها جرأة في شخص حريّة، لكنّ هذه الجرأة لم تتخطَّ يوما أسوار المنطق والأخلاق، والإحترام، ولم تخلع عنها رداء الأنوثة.

لقد رأيت فيها شعلة متّقدة من العصامية والنجاح، ولم تدفعها نار شعلتها لتحرق ذاتها بوهج التكبّر والعجرفة أو الوقاحة.

هي فتاة تستحقّ أن تقام لأجلها قضيّة، فقضيتها تعني كلّ الأحرار لا سيّما الشابات الحالمات. وأنهى حديثه بتهنئتها في كشف مقتل شقيقها طَموح، ونجاحها في القضايا التي تبنّتها في ما خصّ الدفاع عن المرأة وحقوقها ونضالها في سبيل الحقيقة وخير المجتمع.

ثمّ شكرت حريّة كلّ من آمن بقضيتها، وكان وفيًّا لنهج طَموح، وداعمًا لمسارها وساندها في وجه قسوة مصيرها. وقبل الرحيل رفعت رأسها نحو السماء لتشكر القدر، على شقيق عاش بعد موته فكرةً خالدة، وعلى عائلةً تحبّها وتحترمها، وأناسٍ أوفياء لها ولقضيتها، وعلى عدالة السماء التي تحقّقت على الأرض، وأيقنت وهي تنظر في عيني ولدها أنّه لا يمكن لأحد قتل الطموح. فاحتضنت الشجرة وقبلتها مودّعةً روح أخيها وهي تمسك بيد طُموحها الطفل. وحين همّت بالرحيل تقدّمت منها امرأة لتربّت كتفها، فالتفتت لمعرفة هوية مَن يواسيها. فقالت المرأة:

- يا حريّة حقًّا أنت إنسانٌ راقٍ قد لا يتكرّر، أنت أمل مَن فَقَدَ الأمل، أنت الحرّة في وجه كلّ من علا جبروت كبريائه وسيطرته... أنت الحكاية والقضية...

- إن قلبي قد سُرّ بكلامك يا سيدتي. لكن هل لي ان أتشرّف بمعرفتك؟!

- ضمير... أنا اسمي ضمير.

- هي حروف في اسمك، تتعانق لترسم لوحة وجودية، لوحة تاه بعض البشر عن صدق مضمونها، لوحة افتقر بعضهم حقيقة جوهرها... هو اسمٌ يتوّجه العزّ ليُلبس الإنسانية ثوبها الموشّى. فهنيئا لك باسمك.

- إذا تحدّثنا بالأسماء وجوهرها، فأنت متربّعة على عرش ملكوت الأسماء...

وحملت نبراسًا كرّس وجود البشر على هيئة آدميين أحرار.

- كيف يمكن أن أخدمك يا سيّدتي؟

- إنني فتاة شبّت على كهولتها فهرمت في شبابها، فما عساها تكون تفاصيل حياتي؟ ينادونني بسيّدة وما أنا إلا آنسة قسا عليها الدهر وهرم فوق كاهلها.

- إنك تتقنين الأحجيات!

- هي ليست أحجية... هو واقع أحياه حقيقة.

- الواقع حرفة مبدع الخلق ومدبّر الأكوان، لسنا فيه سوى ذرّات نعيش مسارات كتبت من أجلنا. فيُهَيَّأ لنا أنّنا نحن مَن يختار، ونحن في الحقيقة لسنا إلّا نفوسا تبحث عن دار.

- كلامك فيه فلسفة تغرق سامعه في لجج الأفكار.

- تلك كلمات دوّنها أخي في كتاب الزمن.

- قد سمعت بحكاية شقيقك الطَموح وتابعت عن كثب قضيتك الحرّة. وأنا هنا اليوم لأسلّمك أمانة حتّى يتحقّق اسمي مع ثنايا اسمك في كنف طيف شقيقك.

- وكيف للاسمين أن يتحقّقا سويًّا!؟

- وهل هنالك أحلى من أن يحيا الضمير بحريّة أو أن تتجسّد الحريّة في ضمير.

- ما أرقى هذه الكلمات! لكنّك ذكرت شيئا عن أمانة ما، فما هي؟!

- هي طلب وليست أمرًا، هي أمانة جريئة لكنّها ليست سيئة. هي أمانة في صالح الخير لكن قد يتأتّى عنها بعض الشرّ.

- هل عُدنا إلى الأحجيات؟ أرجوك أوضحي قصدك. قد زدتني قلقًا.

- لا داعي للقلق، ولا داعي لأن أشرح لك. هذا الظرف مني لك. إفتحيه واقرئيه وتمعّني في مضمونه. فكّري ثم قرّري ومتى حسمت خيارك بالقبول لا بدّ أن تعرف الحريّة طريقها إلى الضمير... والآن الى اللقاء.
- لكن يا آنسة ضمير.... يا ضمير...

نادتها حريّة لكنّها لم تتوقّف، فقد أدّت رسالتها وسلّمت أمانتها تاركة حريّة غارقة في بحر من التساؤلات. مَن تكون تلك الآنسة؟ ما قصّة أحجياتها؟ لماذا سلّمتني مغلفًا مختومًا؟ علامَ يحتوي؟

يبدو أنّ للحريّة قضايا لا تنتهي. فما القضية التي تخبّئها لنا تلك الأمانة؟

ضمير كلّها غموض وفي عينيها بريق من الشجاعة لم يسبق لحريّة أن رأته...

وهبّت رياحين الغياب تعبق بعطرها في الأجواء وتغلغلت بين أوراق الشجرة الخضر فتمايلت رقصًا ورسمت فوق حدود الأفق شمسًا مالت بأصيلها إلى المغيب. فالجراح قد تلتئم لو شوّهتها براثن الغدر والحياة تبقى دروبها سهلة موطّأة أو عسيرة كأْداء تتحكّم بها الأقدار كما تشاء...

النهاية...

نبذة عن المؤلّف

ألحان وليد فرحات، لبناني من مواليد نيحا الشوف، 1986/10/21:

- أنهى دراسته المتوسطة في مدرسة راهبات القلبين الأقدسين - جزين، وتابع دراسته الثانوية في ثانوية نيحا الرسمية.
- حائز على إجازتي بكالوريوس من جامعة بيروت العربية بين سنتي 2004 - 2009، الأولى بكالوريوس في المالية والعلوم المصرفية، والثانية بكالوريوس في ادارة الأعمال.
- درس العلوم السياسية 2009 - 2010 في الجامعة اللبنانية، الفرع الثاني - جل الديب.
- حائز على إجازة ماجيستير في علوم ادارة الأعمال من جامعة العلوم والتكنولوجيا في بيروت AUL، عام 2011. مقدمًا أطروحة عن تأثير الهيكلية الداخلية للمصارف في مكافحة جريمة تبييض الأموال.
- يتابع دراساته العليا «الدكتورا» منذ العام 2013 في جامعة فينيكس - أريزونا، الولايات المتحدة الأميركية.
- يدرس الفلسفة في الجامعة اللبنانية.
- عمل مصرفيًا في لبنان والاغتراب قبل أن ينتقل للعمل الحر في التجارة والمقاولات.
- ناشط سياسي واجتماعي ومؤسس إئتلاف الشباب اللبناني.

Alhan Walid Farhat   @Alhan_Farhat   Alhan Farhat

الجمهورية اللبنانية

وزارة الاقتصاد والتجارة

المديرية العامة للإقتصاد والتجارة

مصلحة حماية الملكية والفكرية

رقم الصادر : ٢٥٤٠

بيروت في : ٢٠١٦/٠٧/١٩

شهادة بتسجيل أثر أدبي وفني

رقم :٦١٤٢

إن موقع هذه الشهادة، مدير عام الاقتصاد والتجارة، يثبت أنه في هذا اليوم الواقع فيه ٢٠١٦/٠٧/١٩، الساعة ١٢:٣١ ، أودع لدى هذه المصلحة السيّد ألحان وليد فرحات المقيم في الشويفات – العمروسية – حي الكنيسة – البناية الثالثة – طابق أول ثلاث نسخ من اثر أدبي وفني عنوانه: "ترّاش وأقدار" وهو عبارة عن رواية أدبية #

وقد أعيدت إلى طالب التسجيل نسخة عن هذا الأثر بعد التوقيع عليها ووضع الرقم المتسلسل ٦١٤٢ والتاريخ ٢٠١٦/٠٧/١٩ و ختم المصلحة وفقا لاحكام القانون رقم ٧٥ تاريخ ١٩٩٩/٤/٣.

مدير عام الاقتصاد والتجارة

عليا عباس

الجمهورية اللبنانية

وزارة الاقتصاد والتجارة

المديرية العامة للإقتصاد والتجارة

مصلحة حماية الملكية والفكرية

رقم الصادر : 361

بيروت في : 2014/01/28

شهادة بتسجيل أثر أدبي وفني

رقم :5446

إن موقع هذه الشهادة، رئيس مصلحة حماية الملكية الفكرية، يثبت أنه في هذا اليوم الواقع فيه 2014/01/28، الساعة 12:05 ، أودع لدى هذه المصلحة السيد ألحان وليد فرحات المقيم في الشويفات، العمروسية ثلاث نسخ من اثر أدبي وفني عنوانه: حكاية طموح وهو عبارة عن رواية #

وقد أعيدت إلى طالب التسجيل نسخة عن هذا الأثر بعد التوقيع عليها ووضع الرقم المتسلسل 5446 والتاريخ 2014/01/28 و ختم المصلحة وفقا لاحكام القانون رقم 75 تاريخ 1999/4/3.

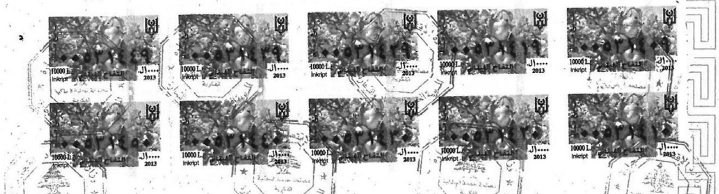

رئيس مصلحة حماية الملكية الفكرية

سلوى رحال فاعور